حوار مع

المتبرجات

ردود هادئة على شبهات المرأة المتبرجة

تأليف

عصام بن محمد الشريف

غفر الله له ولوالديه

دار الإيمان

إسكندرية

حوار مع المتبرجات

ردود هادئة على شبهات المرأة المتبرجة

٢١٩/١
ش ع ح

فضيلة الشيخ

عصام محمد الشريف

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
إسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩

دار القمة
لتوزيع الكتاب والشريط والسي دي
فاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت : ٥٢٢٢٠٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا
إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

جميع الحقوق محفوظة

رقم الإيداع ١٤١٢٢ / ٢٠٠٤
الترقيم الدولى
977-331-5191-5

دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع ١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤٤٦٤٩٦

الفهرس

الموضوع	صفحة
▪ تقديم	١١
▪ الشبهة الأولى	١٧
▪ فصل (وجوب طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ)	٢٧
▪ الشبهة الثانية	٣٠
▪ الشبهة الثالثة	٣٣
▪ الشبهة الرابعة	٣٧
▪ الشبهة الخامسة	٤١
▪ الشبهة السادسة	٤٩
▪ الشبهة السابعة	٥٣
▪ الشبهة الثامنة	٥٧
▪ الشبهة التاسعة	٦٨
▪ فصل (أختي المسلمة اعرفي عدوك)	٧٠
▪ دعاة على أبواب جهنم	٧١
▪ فصول من المعركة	٨٣
▪ الشبهة العاشرة	١٠٥
▪ فصل (فضائل الحجاب)	١١٠
▪ فصل (قبائح التبرج)	١١٤
▪ أين نحن من الحجاب الشرعي؟	١٢٣
▪ شروط الحجاب الشرعي	١٣٢
▪ وفي الختام .. هل من توبة قبل الممات؟	١٣٦

أختاه .. كلمات لا تنسيها أبداً ما حييتِ

تذكَّريها .. واعقليها جيداً

- الحجاب قبل الحساب.
- امرأة بلا حجاب .. مدينة بلا أسوار.
- الخمار شعار التقوى والإسلام .. الخمار برهان الحياء والاحتشام .. الخمار سياج الإجلال والاحترام .. الخمار أشرف إكليل لجمالك، وأعظم دليل على أدبك وكمالك.
- صوني أيتها الشريفة المؤمنة جسمك الطاهر من اعتداء الأعين الباغية، وحصّنيه بالاحتشام لتذوي عنه السهام العاتية.
- أليس من المضحكات المبكيات، أن نرى العجوز وقد ردمت حفر وجهها بالمساحيق، وارتدت ملابس الرجال من البنطلون والقميص؟!
- يا حسرتي على المرأة المتبرجة .. ضالة غافلة .. تبيع الجنة بثمن بخس، وتشتري الجحيم بثمن غال!
- يا أيتها المسلمة المحجبة لا تبالي بما يُلقين من شُبهٍ .. وعندك العقل إن تدّعيه يستجب .. سليه من أنا؟ ما أهلي؟ ولمن نسبي؟ .. للغرب أم للإسلام والعُرْب.

سليه لمن ولائي ... لمن حبي ... لمن عملي ... للّه أم لدعاة الإثم والكذبِ.

لن أبالي

فليقولوا عن حجابي ▫▪▫ لا وربي لن أبالي

فيه حيائي فيه ديني ▫▪▫ وحيائي بالجلال

زينتي دومًا حيائي ▫▪▫ واحتشامي هو مالي

الآن أتولى ▫▪▫ عن متاع ذي زوال

لاَمَني الناس كأني ▫▪▫ أطلب السوء لحالي

كم لمحت اللوم منهم ▫▪▫ في حديثي وسؤالي

كيف تُخْفين جمالاً ▫▪▫ خَلف سورٍ متعالي

اسمعي الدنيا تنادي ▫▪▫ للتحلي للوصال

قلت ما كنت بغِيًا ▫▪▫ كيف أزهو بالجمال

بعد هُدى من إلهي ▫▪▫ كيف أسعى للضلال

الفتاة المسلمة

أنا الفتاة المسلمة □■□ مصونة مكرمه
عفيفة محتشمه □■□ بين الورى محترمه
بالدين والفضيله □■□ وعفتي الأصيله
وشيمتي النبيله □■□ أنال كل مَكْرُمه
أسير للأمام □■□ على هدى الإسلام
منهج الكتاب السامي □■□ أنا به ملتزمه
يأبى علي الدين □■□ والكل كلٌ الدين
تبرجًا يشين □■□ أو سيرة متهمه
أعتزُّ بالحجاب □■□ وسابغ الثياب
فضائل الآداب □■□ أحيا بها مُنعَّمه
لي قدوةٌ عبر السنين □■□ بأمهات المؤمنين
والصالحات كل حينٍ □■□ بالفلاح مُلْهَمه
عرفتُ واجباتي □■□ كما عرفت ذاتي
فأشرقتْ حياتي □■□ نضيرة مُبتسمه
لقد طلبت العلمَ □■□ هدايةً وفهمًا
غداً أصير أمًا □■□ أَبني الحياة القيِّمه
أُعلمُ الأجيال □■□ أنشئ الأبطال
وأبعث الآمال □■□ في أمتي مُجسَّمه
أنا الفتاة المسلمه □■□ مصُونَةٌ مُكرَّمه
عفيفةٌ مُحتشمه □■□ بين الورى مُحترمه

لن أمزق حجابي ..

لا لن أمزق يا «خبيث» حجابي
فيه أمرت بسنةٍ وكتاب

بل إنني سأصونه وأحوطه
بعنايتي سيكون من آدابي

سأمزق الفُساق إن حاولوا
إيذاء ديني سنتي وكتابي

أتريد مني يا «لعين» تبذلا
وتهتكًا لأكون طُعم كلاب؟

أتريد مني أن أمزق عفتي
وأثور كي تستمتعوا بشبابي؟

أنا لست في شؤم ولست أعيش في
ليل كزعم المارق الكذاب

يا شاعر «الكفر الصراح» عجبت من
نشر «لكفرك» في أعز رحاب

في مهبط الوحي الأمين تقول لي
بجراءة ووقاحة المرتاب

إني بقرآني آتيه على المدى
كم فيه لي من لفتة وخطاب

منه تعاليمي وفيه هدايتي
وكرامتي في «النور والأحزاب»

بِيَدِ العفاف

بِيَدِ العفاف أصونُ عزَّ حجابي

وبعصمتي أعْلُو على أترابي

وبفكرة وقَّادة وقريحة

نقَّادة قد كَمُلَت آدابي

ما ضرَّني أدبي وحُسنُ تعلمي

إلا بكوني زهرة الألباب

ما عاقني خجلي عن العَلْيا ولا

سَدْلُ الخمار بلُمَّتي ونقابي

أختـــــاه

أخْتـاه .. يا بنت الخليل تحشَّمي   لا ترفـعي عنك الخـمـار فـتندمي

هذا الخـمـارُ يُزيدُ وهجكِ بهـجـةً   وحـلاوة للعين أن تتـبـسَّـمي

صوني جـمـالك إن أردت كـرامة   كي لا يصـون فـيك أدنى ضَيـغمِ

لا تُعـرضي عن هدى ربك ساعـة   عُضِّي عليه مـدى الحـيـاة لتغنمي

مـا كـان ربكِ جـائراً في شـرعـه   فـاسـتـمـسكي به حـتى تسلمي

ودعي هـراء القـائلين سـفـاهةً   إن التـقـدم في السـفـور للعـجم

حُلَل التـبـرج إن أردتِ رخـيـصـة   أمـا العـفـاف فـدونه سَفْكُ الدَّم

لا تَعْرضي هذا الجمـال على الورى   إلا لزوج أو قـريب مَـحْـرمِ

أنا لا أريـد بأن أراك جـهـولة   إن الجـهـالة مُـرَّةٌ كـالعلقم

كـلا ولا أن تُصـبحي محـبوسة   في قَعْـر بيت في الجـهـالة مظلم

فـتـعلَّمي وتثـقَّـفي وتنوري   والحق يا أخـتـاهُ أن تتـعلمي

لكنني أُمـسي وأُصـبح قـائلاً   أخـتـاهُ يا بنت الخليل تحـشَّمي

تقـديم

الحمد لله رب العالمين . . . حمداً كثيراً طيبـاً مباركًا فيه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهـد أن محمداً عبده ورسوله، اللهـم إنّا نسألك أن تستر عوْراتنا، وتؤمّن روعاتنا . . اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى.

ثم أمّا بعد،

يعيش عالم اليوم فوضى أخلاقية لا متناهية، تكاد تهوي به وتدمره، بالرغم من حضارته وتقدمه العلمي والتكنولوجي.

والدراسـات والأبحاث النظرية التـربوية، لم تسـتطيع أن تخلق على الأقل جيلاً يحتفظ بإنسانيته وكرامته، ولا يمتهنهما.

كمـا أن الخواء الروحي، والانحطاط الأخـلاقي، الذي يخيم على البـشرية اليوم، هو بمثابة القنبلة الموقوتة التى ستزلزل كيانه، وتحطم أركانه، وهى بلاشك تفوق في تدميرها أحدث ما صنع الإنسان من وسائل الخراب والدمار.

قال تعالى: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (سورة الروم: ٤١).

ولابد أن ندرك جمـيعـًا أن النجاة من هوة الكـارثة، لن تكون إلا بالرجوع والخضوع والعبودية لله الواحد القهار، واتباع دينه، دين الفطرة السوية.

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (سورة الأعراف: ٩٦).

وهذه الرسالة كانت محاضرة ألقيتها منذ عشر سنوات تقريبًا على أخواتي المسلمات بالمسجد، وكانت بعنوان «**شبهات حول الحجاب**» إلا أننى سارعت بإعدادها وإخراجها فى هذه الرسالة التى بين أيدي القراء وغيّرت عنوانها إلى «**حوار مع المتبرجات**» وكان السبب الرئيسي في ذلك هو قول إحدى الفتيات ـ هداها الله ـ لو تحرك الهرم من مكانه فلن أتحجب أبدًا !!!

هزتني هذه الجملة هزًا عنيفًا، وحركت مشاعري وأحاسيسي وغيرتي على ديني، وآلمتني ألمًا شديدًا، فى الوقت الذي رأيت فيه أن هذه الفتاة المسكينة ضحية لأسرة لا تبالي بأوامر الله تعالى، وصديقات سوء، ومجتمع لا ينكر عليها شيئًا، لذا حاورتها وحاورت غيرها حتى أعرف أسباب تبرجهن لأقوم بالرد على شبهاتهن. والله أسأل أن أكون قد وفقت ولو لشيء يسير في طريق الدعوة إلى الحجاب، عسى الله أن ينير الطريق أمام هؤلاء الغافلات.

ياأختى المسلمة: (إن فيما أوضحته لك ما يكفي لإقناعك ـ بالمنطق الذى لا التواء فيه ـ بأن اتباع شريعة الله تعالى لايضمن لك بلوغ مرضاة الله فحسب، بل هو يضمن لك إلى جانب ذلك تحقيق أسباب سعادتك الدنيوية كلها، والسعادة ليست فى تحقيق الخيال الذي تتصورين، وإنما هو في الواقع الذى يورثك الطمأنينة ويشيع في حياتك الارتياح والرضا.

أما وقد تبين لك كل ذلك، فقد آن لك أن تنهضي لاستجابة حكم مولاك العظيم، وأن تصطلحي مع الله عز وجل بعد طول نسيان وتنكر له، فتتخذي من صراطه سبيلاً إليه، ومن حبه شفيعًا بين يديه.

دعي انتقاد الناس وحسابهم، فإن حساب الله غدًا أشد وأعظم! . . .

ترفعي عن السعي إلى مرضاتهم وتحقيق أهوائهم، فإن التسامي إلى مرضاة الله أسعد لك وأسلم.

ولسوف تجدين ـ وأنت تعزمين على الرجوع إلى صراط الله ـ من يحاول أن يرهق مشاعرك تحذيراً تحت وطأة هذه «التقاليع» التى أحاطت بك كما تحيط العنكبوت بضحيتها الحبيسة، وأن يذكرك بفلانة التى كانت تبرز مفاتنها أمام الرجال، وفلانة التى كان لها «صالونها» الأدبي البارز بين الناس!.

وأمّا أنا فأذكرك بالحكم الإلهي الواضح الذي نقلته لك بأمانة، وبهذا الحديث الثابت عن رسول الله ﷺ إذ يقول: **«صنفان من أمتي لم أرهما قط: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مائلات مميلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة[1] لايدخلن الجنة ولايجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»**[2].

ولسوف تجدين أيضًا من يذكرك بجمال هذه الدنيا ومغريات الارتواء من لذائذها وزينتها! . . ولكني أذكرك بخطورة عقباها، وجسامة ما ينتظرك من آثارها ونتائجها . . أذكرك بيوم الدين، إن كنت قد آمنت بوجوده . . أذكرك باليوم الذي يصدق فيه قول الله تعالى وهو يخاطب طائفة كبيرة من الناس: ﴿ **وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ** ﴾ (سورة الأحقاف ٢٠)، أذكرك بهذا كله فإن ذلك أدعى إلى أن تتلمسي لنفسك سعادة الدنيا والآخرة معًا.

---

(١) أي كسنام الجمال

(٢) رواه مسلم والإمام أحمد.

ودعيني أذكرك أخيراً، بأن جميع هؤلاء الخادعين إنما ينظرون فيما ينصحون لك بزعمهم إلى أمر أنفسهم وحاجة شهواتهم. ولو أني أردت لنفسي حظها، لفعلت مثلهم ولانضممت إلى حزبهم، فأنا رجل في نفسي من هوى الرجال وشهواتهم مثل الذي عندهم جميعًا . . ولكني ـ والله ـ لا أريد أن أبوء بإثمي وإثمك يوم القيامة! . . . أريد أن تكوني ـ باستقامتك على الحق ـ حسنة في ميزاني، وأن أكون ـ بما أذكرك به من الحق ـ حسنة في ميزانك. أريد لي ولك شيئاً أقدس وأسعد من كل شهوة ولذة وهوى!.

أريد لي ولك مرضاة الله)[١].

أختي المسلمة:

(لن تبلغي كمالك المنشود، ومكانتك السامية، إلا باتباع تعاليم الإسلام. فأنت في الإسلام درة مصونة وجوهرة مكنونة، وبغيره دمية في يد كل فاجر، وألعوبة وسلعة يلعب بها ذئاب البشر، فيهدرون عفافك، ويخدشون كرامتك، ويدنسون طهرك، ثم يلفظونك لفظ النواة بعد أن برزت للرجال ففاض ماء وجهك، وقل حياء خدك، وذهب بها جلدك.

فيا أيتها الأخت المسلمة:

إياك والخديعة والانهزام أمام معركة الحجاب والسفور، والعفاف والإباحية.

إن أعداء الإسلام وأتباعهم قد ساءهم ما تتمتع به المرأة المسلمة من حصانة وكرامة، فسلطوا عليها الأضواء، ونصبوا لها الشباك ورموها بنبالهم وسهامهم، وقد سار في ركابهم أناس من بني جلدتنا ولساننا، فنادوا زوراً وخديعةً بتحرير

---

(١) «إلى كل فتاة تؤمن بالله واليوم الآخر» دكتور سعيد البوطي، ص(١١١-١١٢).

المرأة، وطالبوا بعملها وخروجها من حصنها، ويشيعون الشائعات المغرضة والشبه الداحضة، فيقولون عن المجتمع المسلم المحافظ: إن نصفه معطل، وإنه يتنفس برئة واحدة. وكيف تترك المرأة حبيسة أربعة جدران . . . إلي غير ذلك من الأقوال الآثمة والعبارات المضللة، ويكفي واعظاً لأختي المسلمة ما وقعت فيه المجتمعات المخالفة لتعاليم الإسلام من الهبوط في مستنقعات الرذيلة، وبؤر الفساد)[1].

فيا نساء المسلمين:

إذا كان الإسلام اسمًا وعَلَمًا على دين الله الذي نتشرف بالانتساب إليه، فإن الطاعة والانقياد هما المظهر المعبر عن الإسلام المنتسب إليه تعبيراً صحيحًا. والخطوط المميزة للشخصية المسلمة تجتمع في تطبيق واجبات الإسلام وفرائضه كلها دون تفريق، مادامت واجبة ومفروضة، فهيًّا أعلني عن حقيقة إسلامك بالقول والعمل، واجعلي الحجاب شعاراً للطهر والاستقامة على الدين، تهون أمامه الدنيا كلها بشهواتها الزائفة، وزينتها الكاذبة.

اللهم أرنا الحق حقًّا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه

عصام بن محمد الشريف

---

(١) «إلى أختي المسلمة» صالح بن مسفر الغامدي، ص(٣٩-٤٠) من خطبة لإمام وخطيب المسجد الحرام الشيخ/ عبد الرحمن السديس.

الشبهة الأولى

الحجاب ليس فرضًا على المرأة، ويغني عنه حسن الخلق والنية فحقيقة عفة الفتاة وحيائها ليست فى الحجاب، فكم من فتاة محجبة وسلوكها سيئ، وكم من فتاة متبرجة وهي على درجة عالية من حسن الخلق.

الرد على هذه الشبهة

إن من أسباب تأخر المسلمين، وبعدهم عن الله عز وجل، الجهل بدين الله تعالى، فكثير من الناس لايعلمون: لماذا خُلِقوا فى هذه الدنيا؟ ومن يعبدون؟ وكيف يعبدون الله تعالى؟ لذلك فإن هذه المسكينة التى قالت: إن الحجاب ليس فرضاً، واحدة من هؤلاء. وأقول لها: إن الحجاب الشرعي فرض على المرأة لا خلاف بين أهل العلم فيه، والفرض يثبت بالدليل من الكتاب والسُّنَّة على فرضيته، وهاك الأدلة على ذلك:

أولاً ـ من الكتاب العزيز:

(١) قوله تعالى: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (سورة النور ٣١) .

في هذه الآية الكريمة (ثلاث مواضع أُستدل بها على وجوب الحجاب:

الأول ـ قوله تعالى: ﴿ولا يُبْدِين زِينَتَهُنَّ إلاَّ ما ظَهَرَ مِنْهَا﴾ ، فقد صح عن ابن مسعود وغيره تفسير الزينة بالثياب الظاهرة من المرأة.

أما الموضع الثاني ـ فقوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾.

أما الثالث ـ فقوله عز وجل: ﴿وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾[1].

قال الشيخ أبو بكر الجزائري: «إن دلالة هذه الآية على الحجاب الكامل أظهر وأقوى من الآيات السابقة، وذلك لأن إثارة الفتنة بسماع صوت الخلخال في الرِجّل إذا ضربت المرأة برجلها وهى تمشي، أقل بكثير من فتنة النظر إلى وجهها وسماع حديثها، فإذا حرم الله تعالى بهذه الآية على المرأة أن تضرب الأرض برجلها خشية أن يسمع صوت حليها فيفتن به سامعه، كان تحريم النظر إلى وجهها وهو محط محاسنها - أولى وأشد حرمة»[2]..

(٢) قوله تعالى: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة النور: ٦٠).

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ـ رحمه الله ـ: «وأظهر الأقوال في قوله: ﴿أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ أنه وضع ما يكون فوق الخمار والقميص من الجلاليب الي تكون فوق الخمار والثياب، فقوله جل وعلا في هذه الآية الكريمة: ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾ دليل واضح على أن المرأة التى فيها جمال ولها طمع فى

---

(١) «عودة الحجاب» (٣/ ٢٦٢-٢٦٣)

(٢) «فصل الخطاب» ص (٤١)

النكاح، لا يرخص لها في وضع شيء من ثيابها، ولا الإخلال بشيء من التستر بحضرة الأجانب»[١].

(٣) قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٥٩).

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: لما نزلت هذه الآية ﴿ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ﴾ خرج نساء من الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من أكسية سود يلبسنها.

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «يقول تعالى آمراً رسوله ﷺ أن يأمر النساء المؤمنات ـ خاصة أزواجه وبناته لشرفهن - بأن يدنين عليهن جلابيبهن، ليتميزن عن سمات نساء الجاهلية وسمات الإماء»[٢]، (والمقصود من الجلباب أن لا ينحصر باسم ولا بجنس ولا بلون، وإنما هو كل ثوب تشتمل به المرأة لستر مواضع الزينة، والجلباب أكمل من ضرب الخمار، لأنه يحيط ببدن المرأة كلها ويستر جميع ما يعلو بدنها من الزينة، أو ما ما يصف جسمها، لأن لبس الثياب التي تصف حجم المرأة حرام عليها استعمالها بحضرة الرجال الأجانب)[٣].

(٤) قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ (سورة الأحزاب: ٥٣)، قال السيوطي: «وهذه آية الحجاب التي أُمر بها أمهات المؤمنين بعد أن كان النساء لا يحتجبن»[٤].

(١) «أضواء البيان» (٦/ ٥٩١).
(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٦/ ٤٧٠).
(٣) انظر «نظرات فى حجاب المرأة المسلمة» للشيخ عبدالعزيز بن خلف، بتصرف (٤٨: ٥٢).
(٤) «الاكليل في استنباط التنزيل»، ص(١٧٩).

وقال الشيخ أبو هشام عبد الله الأنصاري: «إن الأمر بالحجاب في هذه الآية لا يختص بأمهات المؤمنين، وإن كان ضمير النسوة يرجع إليهن لأجل أنهن هن المذكورات في السياق، لأنهن الأسوة لنساء المسلمين في جميع نواحي الحياة»[(١)].

وقال الشيخ أبو بكر الجزائري ـ حفظه الله ـ: «فهذه الآية الكريمة تعرف بآية الحجاب، إذ هي أول آية نزلت في شأنها، وعلى أثرها حجب رسول الله ﷺ نساءه، وحجب المؤمنون نساءهم، وهي نص في فرض الحجاب»[(٢)].

ثانيًا ـ من السنة الشريفة:

(١) روى أبو داود والترمذي وغيرهما عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من جرَّ ثوبه خُيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة»، فقالت أم سلمة رضي الله عنها: فكيف يصنع النساء بذيولهن؟ قال: «يرخين شبراً»، فقالت: إذًا تنكشف أقدامهن، قال: «فيرخينه ذراعًا لا يزدن عليه»[(٣)].

فإذا كان يجب على المرأة ستر قدمها لئلا يراه أجنبي، فكيف ببقية جسدها؟!

(٢) روى البخاري ومسلم وغيرهما عن عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إياكم والدخول على النساء»، فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله أرأيت الحمو؟ قال: «الحمو الموت».

---

(١) نقلاً عن «عودة الحجاب» للشيخ محمد إسماعيل (٣/ ٢٤٤).

(٢) «فصل الخطاب في المرأة والحجاب»، ص(٣٤).

(٣) قال الترمذي: هذا حديث صحيح، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» برقم (١٤١٥) (٢/ ١٤٧).

قال الشنقيطي ـ رحمه الله ـ: «فهذا الحديث الصحيح صرح فيه النبي ﷺ بالتحذير الشديد من الدخول على النساء، فهو دليل واضح على منع الدخول عليهن وسؤالهن متاعًا إلا من وراء حجاب»[١].

(٣) روى البخاري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: «يرحم الله نساء المهاجرات الأُوَل، لَمّا أنزل الله: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ شققن مروطهن فاختمرن بها».

(٤) وأخرج الإمام أحمد وأبو داود وغيرهما عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «كان الركبان يمرون بنا ونحن مع رسول الله ﷺ محرمات، فإذا حاذوا بنا سَدَلَتْ إحدانا جلبابها من رأسها على وجهها، فإذا جاوزونا كشفناه»[٢].

(٥) وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا خطب أحدكم المرأة، فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل**»[٣]، فخطبت جارية، فكنت أتخبأ لها، حتى رأيت منها ما دعاني إلى نكاحها وتزوجتها.

ففي هذا الحديث دليل على مشروعية احتجاب النساء من الرجال الأجانب، وأن النساء كن قائمات بالتستر بحيث لم يكن الرجل يقدر على أن يراهن إلا بالحيل والتصرفات، أو إلا أن يسمحن له بالرؤية.

فإذا علم ـ بعد ذكر هذه الأدلة ـ بوجوب التزام المرأة المسلمة إذا بلغت المحيض الحجاب الشرعي، فإنه قد حُرِّم عليها التبرج.

---

(١) «أضواء البيان» (٦/ ٥٩٢)

(٢) قال الألباني سنده حسن «حجاب المرأة المسلمة»، ص (٥٠)

(٣) قال الألباني: حديث حسن، «إرواء الغليل» برقم (١٧٩١)، «السلسلة الصحيحة» برقم (٩٩)، و«صحيح الجامع» برقم (٥٠٦)

(وكلمة التبرج إذا استعملت للمرأة كان لها ثلاثة معان:

١ ـ أن تبدي للأجانب جمال وجهها ومفاتن جسدها.

٢ ـ أن تبدي لهم محاسن ملابسها وحليها.

٣ ـ أن تبدي لهم نفسها بمشيتها وتمايلها وتبخترها)[١].

وما تفعله كثير من النساء اليوم من التبرج وإظهار الزينة والذهب، وقد خرجن من بيوتهن فاتنات مفتونات، كشفن عن رؤوسهن أو نحورهن أو سوقهن أو أذرعهن من أعظم المنكرات المخالفة للشرع، والتي توجب سخط الله تعالى وعقابة وحلول نقمته.

■ ***وهاكم الأدلة على تحريم التبرج:***

أولاً ـ من الكتاب العزيز:

(١) قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ (سورة الأحزاب: ٣٣)

فإذا كان الخطاب موجهًا لنساء النبي ﷺ فهو من باب أولى موجه إلى نساء المسلمين (هذا لو لم يرد دليل يعم جميع النساء، كيف والشريعة طافحة بلزوم النساء بيوتهن، والانكفاف عن الخروج منها إلا لضرورة)[٢].

وقال ابن سعدي في تفسيره: «أي لا تكثرن الخروج متجملات أو متطيبات كعادة أهل الجاهلية الأولى الذين لا علم عندهم ولا دين»[٣].

---

(١) «تفسير آيات الحجاب» للمودودي ـ رحمه الله ـ، وفي «لسان العرب» التبرج يعني: «إظهار ما يجب ستره من زينتها ومحاسنها» (١/ ٢٨٨).

(٢) «تفسير القرطبي» (٤/ ١٧٩).

(٣) «تفسير ابن سعدي» (٦/ ١٠٧)

(٢) قوله تعالى: ﴿ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ (سورة النور: ٣١).

■ (والزينة تطلق على ثلاثة أشياء:

(أ) الملابس الجميلة.

(ب) الحلي.

(جـ) ما تتزين به النساء في رؤوسهن ووجوههن ، وغيرها من أعضاء أجسادهن ممايعبر عنه في هذا الزمان بكلمة (التجميل).

فهذه الأشياء الثلاثة هي الزينة التي أُمر النساء بعدم إبدائها للرجال إلا لمن استثنى الله منهم)[(١)].

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «﴿ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ أي: ولا يظهرن شيئاً من الزينة للأجانب إلا ما لا يمكن إخفاؤه»[(٢)].

(٣) قوله تعالى: ﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللاَّتِي لا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (سورة النور: ٦٠).

عن ابن عباس ﷺ قال: وهي المرأة لا جناح عليها أن تجلس في بيتها بدرع وخمار، وتضع عنها الجلباب، ما لم تتبرج لما يكره الله.

وقال ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ: «﴿ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ﴾ أي من غير أن يُردن بوضع الحجاب أن تُرى زينتهن، والتبرج إظهار المرأة محاسنها»[(٣)].

---

(١) «ماذا يجب عليك فتاة الإسلام» للشيخ عبدالله بن جار الله، ص(١٣).

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٢٨٣).

(٣) نقلاً عن «عودة الحجاب» (٣/ ٢٩٧).

وقال التويجري ـ حفظه الله ـ: «ومفهوم الآية الكريمة أن من لم تيأس من النكاح بعد، وهي التي بقي فيها بقية من جمال وشهوة للرجال، فليست من القواعد، ولايجوز لها وضع شيء من ثيابها عن الرجال الأجانب، لأن افتتانهم بها وافتتانها بهم غير مأمون»[١].

ثانيًا ـ من السنة الشريفة:

(١) روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات، رؤوسهن كأسنمة البُخت المائلة لايدخلن الجنة ولايجدن ريحها، وإنّ ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**».

وهذا الحديث يعد من دلائل نبوته ﷺ، حيث تنبأ بوجود النساء الكاسيات بما عليهن من ثياب قصيرة، العاريات بما ظهر من أجسادهن، وأنهن لن يدخلن الجنة ولن يجدن ريحها، ففي ذلك تحذير شديد من التبرج والسفور.

(٢) أخرج الحاكم وأحمد من حديث فضالة بن عبيد أن رسول الله ﷺ قال: «**ثلاثة لا تسأل عنهم**[٢] **رجل فارق الجماعة وعصى إمامه ومات عاصياً، وأَمَة أو عبدٌ أبق فمات، وامرأة غاب عنها زوجها قد كفاها مؤونة الدنيا فتبرجت بعده، فلا تسألهم عنهم**»[٣].

---

(١) «الصارم المشهور على أهل التبرج والسفور» ص(٦٣).
(٢) لأنهم من الهالكين، كذا قال الألباني.
(٣) قال الألباني: سنده صحيح «حجاب المرأة المسلمة» ص(٥٤).

(٣) ولقد بالغ الإسلام في التحذير من التبرج إلي درجة أنه قرنه بالشرك والزنا والسرقة وغيرها من المحرمات، ولذلك حين بايع النبي ﷺ النساء على أن لايفعلن ذلك، فقال عبدالله بن عمرو رضي الله عنه : جاءت أميمة بنت رُقيقة إلى رسول الله ﷺ تبايعه على الإسلام فقال: **«أبايعك على أن لاتشركي بالله شيئًا، ولا تسرقي، ولا تزني، ولا تقتلي ولدك، ولا تأتي ببهتان تفترينه بين يديك ورجليك، ولا تنوحي، ولا تتبرجي تبرج الجاهلية الأولى»**[(١)] .

(٤) أخرج الطبراني في المعجم الصغير من حديث ابن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: **«سيكون في آخر أمتي نساء كاسيات عاريات، على رؤوسهن كأسنمة البُخْت، العنوهن فإنهن ملعونات»**[(٢)] .

(٥) قال رسول الله ﷺ : **«خير نسائكم الودود الولود، المواتية المواسية، إذا اتقين الله، وشر نسائكم المتبرجات المتخيلات، وهن المنافقات، ولايدخل الجنة منهن إلا مثل الغراب الأعصم»**[(٣)] ، وهو كناية عن قلة من يدخل الجنة من النساء.

ولعل من أهم العوامل التي ساعدت النساء على التبرج:

١ ـ عدم الخوف من الله تعالى، فهذه العبادة العظيمة التي تحمل على مراقبة الله تعالى وتقواه، قد ضعفت في قلوب أكثر النساء، فـفسدن وتبرجن رغم علمهن بأن هذا التبرج حرام، ولكن عندما تتحلى المرأة بتقوى الله فتقف عند نواهيه وحدوده فلا تقربها، وتقف عند أوامره فتؤديها، فإن ذلك يحملها على الاحتشام والعفة.

---

(١) قال الألباني: سنده صحيح «حجاب المرأة المسلمة» (ص ٥٤).
(٢) قال الألباني: سنده صحيح «المصدر السابق» (ص ٥٦).
(٣) صحيح: «صحيح الجامع» برقم (٣٣٣٠).

٢ ـ التقليد الأعمى واتباع خطوط الموضة الواردة لنا من الشرق والغرب، حتى اعتقد كثير من النساء أن التخلف عن محاكاة الكافرات أو الفاسقات رجعية وتخلف!!

٣ ـ التنافس بين النساء في اتباع الموضات وارتداء أحدث الموديلات، فأصبحت المرأة تنظر إلى أترابها من النساء، وتحاول أن تظهر بمظهر أكثر منها تكلفاً، فتتعرى أكثر وتغري أكثر ولاحول ولا قوة إلا بالله.

٤ ـ انتشار الموضات في فن الخياطة والملابس الجاهزة، وذلك عن طريق دور الأزياء الخبيثة التي تحاول إخراج النساء عن طريق العفة والحياء والاحتشام، فتتلقف نساؤنا ـ للأسف ـ ما يصدر عن هذه الدور من أحدث الموديلات، حتى يكون لهن السبق في اتباع الموضة وارتداء أحدث وأرقى الملابس!!

٥ ـ دور أعداء الإسلام ـ والحجاب خاصة ـ الذين يحاولون بشتى الطرق، تحسين صورة المرأة المتبرجة السافرة، على أنها امرأة العصر والحضارة والقرن القادم، وأنها هي النموذج الذي يجب أن يُقتدى به، وكذلك مايظهر في برامج الدعاية والإعلان في التلفاز أو على صفحات الجرائد والمجلات من استخدام المرأة المتبرجة لأغراضهم التجارية في صورة تنقدح في أذهان النساء، وتأخذ بقلوبهم الفارغة، وعقولهن التائهة، حتى يألفن التبرج ويبغضن الحجاب.

٦ ـ عدم قيام الرجال بالدور المطلوب منهم نحو نسائهم، فباتت أكثر البيوت بلا راعٍ يتقي الله تعالى في رعيته، وأصبحت دفة أكثر البيوت في يد النساء، وما أدراك بامرأة كانت القوامة في يدها!!.

مما سبق تبين لنا جميعًا بكل وضوح وبلا مراء، أن الحجاب الشرعي فرض وليس سُنَّة كما يقول أصحاب هذه الشبهة، وعلى ذلك فإنه يتعين على كل مسلمة تؤمن بالله واليوم الآخر، وترجو ثوابه وتخاف عقابه، أن تبادر بالسمع والطاعة بلا تسويف أو تأويل لأوامر الله تعالى، وأوامر رسوله ﷺ بارتداء الحجاب الشرعي.

(فصل) وجوب طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ

قد تظاهرت الأدلة من الكتاب والسُّنَّة على وجوب طاعة الله تعالى، وطاعة رسوله ﷺ.

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٣٦).

وقال تعالى أيضًا: ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (سورة النساء: ٦٥).

وقال تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (سورة الحشر: ٧).

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**»، قالوا: ومن يأبى؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**».

وفي الصحيحين عنه أيضًا عن النبي ﷺ قال: «**دعوني ما تركتكم، فإنما أهلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم**»

وروى الترمذي عن العرباض بن سارية ﷺ قوله ﷺ : «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن عبدٌ حبشي، فإنه من يعش منكم يرى اختلافًا كثيراً، وإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة، فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين، عضُوا عليها بالنواجذ»[1].

(فصل)

أما اعتماد البعض - بجهلهن - على أن حسن الخلق والنية يغنيان عن الحجاب، فهو مردود للأسباب الآتية:

١ - علمنا أن الحجاب فرض، ومن ثَمَّ فليس هناك مندوحة في تركه لأي سبب آخر.

٢ - هل يعقل أن تكون الفتاة أو المرأة ذات أخلاق وحياء، وهي في نفس الوقت تسير عارية في الطريق، وتُظهر عورتها لكل رجل، بل المفروض أن الأخلاق والحياء يدفعان المرأة لستر عورتها أمام الرجال الأجانب عنها، وهذا هو الشيء الطبيعي والفطري ولكن أكثر الناس لايعقلون.

٣ - حسن الخلق يستمد معناه وجوهره وسماته من ديننا الذي ندين به لله تعالى، وليس من دين الأهواء والشهوات، وديننا هو الذي أمر النساء بالحجاب، بل وربط حسن الخلق بالحجاب.

٤ - إذا صلح القلب، وطهر الباطن، وزكت النفس، فإنه لامحالة يكون سلوك المسلمة وفق ما أمر الله تعالى به، ولا محالة أنها ستخضع جوارحها لله، وستنقاد لأوامر الله تعالى وستجتنب نواهيه، ولا يجتمع أبدًا صفاء الباطن

---

(١) صحيح: «صحيح سنن الترمذي» للألباني برقم (١٥٧).

وطهارة القلب، أو حُسن الخُلق وحُسن النية مع الإصرار على معصية الله تعالى سواء كانت المعصية صغيرة أم كبيرة.

إن المرأة العفيفة الحيية هي التي لاتسمح لأي رجل أن يرى شيئًا من عورتها، حرصًا منها على طاعة ربها، وحرصًا على كرامتها وحيائها، أما المرأة المستهترة العابثة اللاهية هي التي تسعد بمداعبة بدنها الأنظار، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فانظري ـ هداك الله ـ من أي الفريقين أنت؟!!

٥ - إن من مستلزمات الإيمان، أن تضعي أوامر الله تعالى موضع الجد والاهتمام من تفكيرك، حتى إذا أيقنت أن الحقيقة باتت واضحة بين يديك، وهي التي يتمثل فيها حكم الله تعالى بفرضية الحجاب عليك، كان عليك أن تنهضي لتنفيذ أوامر الله، فإن رأيت جذباً من شياطين الإنس أو الجن، فاهرعي مسرعة إلى باب الله تعالى والزمي جنبه، لتعرضي له ضعفك، وتجأري له بالدعاء، أن يثبتك على الدين، وأن يهبك قوة ويقينًا واعتزازاً بشعائر هذا الدين العظيم.

الشبهة الثانية

إننا نصلي ونصوم ونتصدق على الفقراء ونعامل الناس بخُلق حسن، فأي مكانة للحجاب إزاء هذه العبادات العظيمة، وهو ليس أكثر من مظهر، والله تعالى لا ينظر إلى صورنا وأجسادنا ولكن ينظر إلى قلوبنا وأعمالنا.

الرد على هذه الشبهة من عدة أوجه

الوجه الأول: هذه الشبهة تنهار أمام فريضة الحجاب كما مرَّ.

الوجه الثاني: الحجاب الشرعي هو الذي يميز بين المسلمة المستقيمة على الدين، والمسلمة الغافلة عن دين الله.

الوجه الثالث: يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (سورة العنكبوت: ٤٥).

ومعلوم مما سبق أن التبرج من الفحشاء والمنكر، ولو أنك تؤدين الصلاة بخشوع، وزلفى إلى الله تعالى، امتثالاً لأمره، واجتنابًا لنهيه، لكان ذلك دافعًا لكِ إلى الالتزام بالحجاب الشرعي وليس العكس.

ولو كان الحجاب مظهراً كما تقول هذه المسكينة، لَمَا توعد الله المتبرجات النار والحرمان من الجنة، وعدم شمّ ريحها.

إن الحجاب هو الذي يميز بين العفيفة الطائعة، والمتبرجة الفاسقة، ولو كان مظهراً أجوفًا، لما استحق كل هذا العقاب لتاركته.

الوجه الرابع: فهمت الفتاة المسكينة حديث رسول الله ﷺ فهماً خاطئًا وهو يقول: **«إن الله لاينظر إلى صوركم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»**[(١)] .

لأن القلوب إذا طهرت، استقامت الجوارح وانقادت إلى طاعة الله تعالى، وكانت الأعمال موافقة لمرضاة الله عز وجل. أليس الحجاب من الأعمال التي يرضاها الله ورسوله ﷺ ؟!! إذن لا بد من الحجاب لأنه من الأعمال التي ينظر الله إليها.

أما الصور والأموال التي لاينظر الله تعالي إليها هي التي في غير طاعة الله تعالي، هي التي فيها الكبر والخيلاء والعجب بالنفس وسلوك طريق المعصية.

(إن المؤمنة التقية يجب أن يدل مظهرها على مخبرها، وأن يبدو إيمانها وتقواها في ملبسها، كما يبدو في أقوالها وأعمالها.

يجب أن يسطع الإيمان في كل تصرفاتها وأحوالها، فتُعرف أنها من أهل القرآن، بتنفيذها أوامر القرآن، فيحترمها المؤمنون، ولا يؤذيها الفاسقون.

فبالله ماذا سترت نساء يدعون الإسلام الآن من زينتهن التي أُمرن بسترها، إذا كن هكذا في الطريق، عاريات الأذرع والسيقان والصدور، باديات النهود والأرداف والخصور، مصبوغات الوجه والعين والثغور، حاسرات الرؤوس، مسترسلات الشعور؟

ماذا تركت الشريفة لغيرها من فنون التبرج؟ وماذا أبقت لنفسها من ضروب الاحتشام؟ إنها لم تترك من ذلك ولم تبق شيئًا)[(٢)] .

---

(١) رواه مسلم.

(٢) «التبرج» نعمت صدقي، ص(٢٤ - ٢٥)

أختي المسلمة:

ما يضيرك لو أنك محجبة، وأنت تصلين وتصومين، وتتصدقين على الفقراء، وتعاملين الناس بخلق حسن كما تقولين؟!!.

أليس الإله الذى فرض عليك الصوم والصلاة، هو الذي فرض عليك الحجاب؟!! ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ (سورة البقرة: ٨٥).

أليست عبوديتنا لله تعالى تستلزم خضوعنا التام لأوامره، لانفرق بين أمر وآخر؟ أليست وحدانية الله تعالى تستلزم إقراراً لله تعالى وحده بالتشريع والطاعة؟.

ثم أقول لك: هل هذه الشبهة الزائفة التي تتشدقين بها، ستكون لك عذراً أمام الله تعالى يوم القيامة؟ وهل بسببها لايحاسبك الله على تبرجك ومعصيتك؟ أعطِ لنفسك قليلاً من الوقت، تفكرين فيه بينك وبين نفسك، وستصلين إلى الحق إن شاء الله تعالى.

الشبهة الثالثة

أريد أن أتمتع بشبابي، والحجاب يمنعني من ذلك ومن ارتداء ما أريد أن ألبس من الثياب، ويمنعني أيضًا من الذهاب إلى أي مكان أريد أن أتمتع فيه بشبابي كالذهاب إلى الشواطىء ودور السينما وغيرها.

الرد على هذه الشبهة

يا أيتها المسكينة اعلمي ـ هداك الله ـ أن الإسلام هو الخضوع والانقياد والاستسلام لأوامر الله عز وجل، فمادمت مسلمة فإن ذلك يعني أنه يجب عليك اتباع أوامر من أسلمت وجهك إليه، والانتهاء عما نهى عنه، وإلا فراجعي حقيقة إسلامك ودينك.

لذا فإن تمتعك بشبابك لابد أن يكون وفق شرع الله تعالى، وليس وفق هواك وماترغبين دون قيد أو شرط، وإلا فما الفرق بين المسلمة والكافرة؟ وبين الطائعة والغافلة؟ إن الأُولى لها منهج إلهي تسير عليه، والثانية لها منهج شيطاني تسير عليه.

ثم إن التمتع بالشباب ـ من وجهة نظرك ـ هو فعل المنكرات من التبرج والاختلاط والذهاب إلى أماكن تغضب الله تعالى، تختلطين فيها بالرجال، وتتعرى فيها الأجساد، ولايخفى علينا جميعاً أن كل هذا حرام، فكيف تتمتعين بشبابك وأنت تعصين الله تعالى؟!!

هل من الإيمان بالله تقديم معصيته على طاعته؟!!

يا حسرتا على النساء!! عندما استبدلن الذي هو أدنى بالذي هو خير، عندما استبدلن التبرج بالحجاب.

أين الخلاعة والانحلال والتعري من الحياء والحتشام والوقار؟

أي تمتع بشبابٍ تقصدينه، وأنت عند خروجك إلى الطريق متبرجة تحملين وزر كل من ينظر إليك، فاحسبي إذن كل يوم عدد الأوزار التي تحملينها بسبب تبرجك عندما ينظر إليك المئات من الرجال بل الآلاف.

(ففكري أيتها السيدة! كم مرة أتيت هذا الأمر الكبير؟ وكم أظهرتِ من عورة؟ وكم هتكتِ من حرمة؟ وكم أيقظتِ من فتنة؟ وكم من عين شرهة التهمت لحمكِ وتمتعت بجمالك؟ وكم من نفس مجرمة شوقت لوصلك؟!

اجمعي ياسيدتي هذه الآثام في كل خروجك ونزهاتك طوال حياتك، فستجدين وزرًا ثقيلاً تنوئين تحته، ولاتستطيعين حمله يوم الحشر)[1].

أي تمتع بشبابٍ هذا يامسكينة: وهو بلاقيود أو ضوابط شرعية!

وهل الذي يريد الزنا أو شرب المخدرات أو الخمر أو غير ذلك من المحرمات ـ إن قال هو الآخر ـ مرخصًا لنفسه اقتراف هذه الآثام، أريد أن أتمتع بشبابي، سيكون على حق؟!! فهل نبيح له ذلك تحت مسمى «التمتع بالشباب».

إن (كل امرأة خرجت من خدرها إلى الطرقات عروسًا، قد أخذت زخرفها وازينت، لسان حالها يقول: ألا تنظرون إلى هذا الجمال؟ هل من راغب في القرب والوصال؟ إنها تعرض جمالها في أسواق الشوارع كما يعرض التاجر

---

(١) «التبرج» ص ٣٧.

المتجول سلعه، وكما يعرض بائع الحلوى ماعنده مزينًا بالألوان الزاهية والأوراق اللامعة، ليسترعي الأنظار ويغري النفوس ويثير الشهية، فتروج بضاعته، ويكثر المشترون، ويتهافت الطلاب والجياع النهمون.

كيف تقبل المرأة الشريفة العفيفة عرض جمالها في السوق سلعة رخيصة تتداولها الأعين، وكيف يرضى لها حياؤها أن تكون مبعث إثارة شهوة في نفس رجل يراها، بل وكيف يطيق الشعور بأنه يصبو إليها ويتمناها؟

إنها لو فكرت في ذلك الأمر برهة، لاحمرت خجلاً ولسترت جمالها وزينتها عن الأعين الشرهة الوقحة)[1].

وإلى الخائفة من الحجاب أقول لها: إن الحجاب لا يمنعك أبدًا من التمتع بشبابك، ولا من التمتع بما أحل الله تعالى لك من الطيبات، ولكن وفق منهج وضعه الخالق الحكيم.

وليس معنى أنك ستحجبين أن تعيشي منطوية على نفسك منعزلة عن الناس، كلا! (بل الإسلام يريدك مرحة في نفسك تألفين وتؤلفين، نشيطة فى غير ابتذال، متواضعة في غير ذلة، عزيزة فى غير فخر، كثيرة الحياء، قليلة الأذى صدوقة اللسان، قليلة الكلام، كثيرة العمل، قليلة الزلل، برة وصولة، شكورة صبورة، راضية حليمة، رقيقة عفيفة، لا لعانة ولا سبابة، ولا نمامة ولا

(١) المصدر السابق، ص (٢٣ - ٢٤).

مغتابة، ولا عجـولة ولا حقودة ولا بخيلة ولا حسودة، بشَّاشة هشَّـاشة، مُيَسِّرة غيـر معـسرة، من رآك احتـرمك، ومن صاحـبك أحبك، دائمة البـشر واسـعة الأمل)[١].

ايتها المسلمة .:. لاتنسي أنه مامن شـاب يُبتلى منك اليـوم بفتن تغريه، أو تشغل باله، وكان بوسـعك أن تجعليه في مأمن منها، إلا أعقـبك منها غدًا نكال من الله عظيم.

فاربأي بـنفسك من ثقل هذه الأوزار، ثم افطني لرسـالتك في هذه الحـياة، ولماذا خُلقُت فيـها؟ ستـجدين الإجابة تخـتلف تمامًا عن الواقع الذي تعيـشينه، فهُبي إلى توبة صادقة إلى الله تعالى قبل الرحيل عن هذه الدار.

---

(١) «إلى كل أخت متحجبة»، عبدالرحيم أقوام ص (٤٤).

الشبهة الرابعة

لن اتحجب إلا عندما أقتنع به تماماً، فضلاً أنه يضايقني جداً في الحر، وكذلك الحجاب يجعل شكلي غير جميل.

الرد على هذه الشبهة

لا أدرى ماهو هذا الاقتناع الذي تتكلم عنه هذه الغافلة؟

فإن كانت تقصد الاقتناع بالحجاب، أليس يكفيها الأدلة من الكتاب والسُّنَّة التي ذكرناها على فرضيته حتى تقتنع؟

أما إذا كانت تقصد الاقتناع بكلام الله تعالى أو طاعته في مسألة الحجاب، فنقول لها راجعي إيمانك قبل لقاء الله تعالى!!

إن المسلمة التي تخشى الله وتحبه وتعبده حق عبادته، هي التي تسارع فوراً لتنفيذ أوامر الله تعالى، واجتناب نواهيه، كما قال الله عز وجل: ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا** ﴾ (سورة الأحزاب: ٣٦).

فأي اقتناع تبحث عنه هذه المسكينة بعدما قضى الله تعالى وحكم بوجوب ارتداء المرأة للحجاب الشرعي؟!!

مادمت قد آمنت بالله تعالى ورسوله ﷺ، فليس لك أن تختاري بعد ذلك، وإنما السمع والطاعة والانقياد طلباً لمرضاة الله تعالى، حتى لا تكوني مع العاصين الذين ضلوا ضلالاً بعيداً.

(ولو نظر الإنسان في إيمانه لعرف السبب! فالإيمان هو الفصل في هذه القضية، وقد ربطت الآية المذكورة بين الإيمان وبين قبول الأمر، فالمؤمن والمؤمنة لا يختاران على اختيار الله ورسوله، لأن ذلك سفه وجهل، وأما غير المؤمن والمؤمنة، فإنهما يختاران على غير اختيار الله ورسوله، فهذه إذن قضية إيمانية بحتة مهما تفلسف فيها المتفلسفون، وحاول تبريرها العاجزون.

وقضية الاقتناع التي تطرحها المرأة اليوم في أمر الحجاب، قول فيه جهل وغرور، فمن أين يأتي الاقتناع؟!!

هل سيأتي من بحث ودراسة وتحليل آيات الله وحديث رسوله ﷺ؟

أم أن المرأة تنتظر أن تنزل عليها آيات من السماء، أو أن يُوحى إليها، فيترتب على ذلك اقتناعها بأمر الله؟

ونقول لها: إن لم تُقنعك آيات الله وحديث رسوله ﷺ، فلن تقتنعي إذن أبداً، فإن أطعت ـ وهو أحرى بك ـ فإنك من المؤمنات الطائعات الحييات من الله، وإن لججت في القول فهو الضلال، وعمى البصر والبصيرة)[1].

(وأقول هل كتاب الله الذي لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والذي تنزَّل من لدن حكيم خبير، أو أنَّ أقوال رسوله ﷺ بحاجة إلى رأي المتبرجة القاصرة وجهلها المركب؟

إن الله لغني عنها وعن اقتناعها، أتحسب أن أوامر الدين ونواهيه، بضاعة تقتنع بشراء بعضها وترك البعض الآخر؟!! ألا تستحي هذه وهي ترفض أوامر الله بحجة أنها تقتنع بعد؟ إنها أوامر من أوجدك من العدم، وخلقك خلقاً من

---

(١) مجلة المسلمون، العدد (٥٣)، فبراير ١٩٨٦.

بعد خلق، ورزقك من الطيبات، إنها أوامر من وهبك العقل الذي تريدين أن تستلهمي منه الاقتناع، فأي جحود ونكران لفضل الله هذا؟!)[(١)].

(ولو أن المتبرجة تأملت بعين بصيرتها، ولو كان لها قلب يعي لوجدت أنها ـ باصطناعها هذا الجمال المزور، ومبالغتها في التزين ـ لن تكسب في الحقيقة جمالاً ولامحاسن، بل إنها تمسخ وجهها، وتخفي ما حباها الله من الجمال الفطري بقناع من الأصباغ الزاهية)[(٢)].

وأي جمال هذا عندما تطيل المرأة أظفارها كالوحوش!!

وأي جمال هذا عندما تغير خلق الله بترقيق الحواجب ولُبس الباروكات!!

وأي جمال هذا عندما تدهن وجهها بأصباغ تخفي ملامح الوجه تحتها!!

وأي جمال هذا عندما تسير المرأة في الطريق وقد ارتدت الشفاف من الملابس، أو الملاصق لجسدها، ففسدت وأفسدت غيرها؟!

وما أصدق قول الشاعر حينما قال:

قل للجميلة أرسلت أظفارها	إني لخوف كنت أمضي هاربا
إن المخالب للوحوش تخالها	فمتى رأينا للظباء مخالبا
بالأمس أنت قصصت شعرك غيلة	ونقلت عن وضع الطبيعة حاجبا
وغداً نراك نقلت ثغرك للقفا	وأزحت أنفك رغم أنفك جانبا
من علَّم الحسناء أن جمالها	في أن تخالف خلقها وتجانبا
إن الجمال من الطبيعة رسمه	إن شذَّ خطٌ منه لم يك صائبا

(١) «المتبرجات»، الزهراء فاطمة بنت عبد الله، (ص ١٢٨).

(٢) «التبرج» (ص ٢٧).

أي جمال هذا يا مسكينة الذي دعاك إلى الخلاعة والاختيال؟!

وأي جمال هذا الذي أدى بك إلى بؤرة العصيان والضلال؟!

(فصل)

أما احتجاجك بأن الحجاب يضايقك في الحر، فأقول لك: إن كنت لا تطيقين الحجاب بحر الدنيا، فهل ستطيقين نار جهنم؟ يقول تعالى: ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ (سورة التوبة: ٨١).

وهل معنى كلامك هذا أنك ستتركين الصلاة أيام الحر مثلاً؟

وهل ستتأخرين عن بعض الطاعات تحت أي مسمى ويكون مقبولاً ذلك منك عند الله تعالى؟!!

ثم لو فرض صحة ما تقولين وهو بعيد، فإن الصبر على طاعة الله تعالى لا يقارن بأهوال يوم القيامة للعاصين والمنافقين.

وأين أنت مما لاقته كثير من المسلمات في سبيل الله تعالى؟ ولماذا لم يرتددن عن دين الله تعالى بسبب ما لاقينه من العنت والأذى بسبب إسلامهن؟

وإن كنت لا تصبرين على الحجاب، فكيف لو رأيتي ما أصاب النساء من قبلك في سبيل الله؟ هل كنت ستكفرين بالله تعالى حينئذ؟

إن المسلمة التقية والتي امتلأ قلبها بحب الله تعالى، وعينها دائمًا على جنة ربها، هي التي يهون عندها كل شيء في سبيل الله تعالى، وإلا فَمَن قال لك: أنك ستدخلين الجنة دون أي ابتلاء، ومن الابتلاء طاعة الله تعالى، والصبر على القيام بها.

الشبهة الخامسة

الحجاب لباس المتزمّتات، ومن عادات الجاهلية البالية، والتبرج الأن أصبح امراً مألوفاً وعادياً، ولا يلفت النظر إليه، ولا يثير الغرائز والشهوات لانتشاره في كل مكان وزمان بشتى صوره وأشكاله، فلا داعي للتشدد، فديننا يسر.

الرد على هذه الشبهة

كيف يكون الحجاب لبس المتزمّتات، والله تعالى هو الذى فرضه على النساء؟!

وكيف يكون من عادات الجاهلية البالية، وهو قانون السماء لحماية المجتمع من الضياع؟!!

وهل من يسر الدين، التخلي عن طاعة الله تعالى بارتداء الحجاب؟!!

وهل يسر الدين في اتباع شرعه أم في الانسلاخ منه؟!!

إن التشدد والتزمت ـ أيتها الفتاة المسكينة ـ هو المبالغة والتنطع في تطبيق الشريعة، وليس في الحجاب أي مبالغة أو تنطع لأن الله تعالى فرضه على النساء. وهل معنى يسر الدين في نظرك هو إلغاء أوامر الدين؟ أم تطبيق أوامره؟ إن كل تعاليم الإسلام يسر ولا عسر فيها، ولم يُحمِّل الله تعالى العباد بها فوق طاقتهم، كما قال عز من قائل: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (سورة البقرة: ١٨٥) .

فالتيسير ليس بما تهـواه النفوس، وتميل إليه القلوب، وتطمح إليه الشهوات، إنما هو ما جـاء به الرسول ﷺ ، وعزيز عليـه ﷺ ويشق عليه ما يعنت أمـته ويحرجهـا ويشق عليها، وهو ﷺ لم يأتنـا إلا باليسر وكل أمـر في الدين فهو يسر، فلماذا نتجاهل كل هذه المفاهيم الصحيحة.

الحجاب أمرٌ من الله تعالى وأمرٌ من رسوله ﷺ كما سبق، لذلك فهو يسر وليس تزمتًا أو تشددًا، ومن يقول أو تقول أنه تزمت أو تشدد، فليراجعوا إيمانهم بالله قبل أن يموتوا.

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (سورة التوبة:١٢٨).

قال القرطبي: «وقال عبد العـزيز بن يحيى: نَظْمُ الآية لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز حريص، بالمؤمنين رؤوف رحيم، عـزيز عليه ما عنتم، لا يهمه إلا شأنكم، وهو القائم بالشفاعة لكم، فلا تهتموا بما عنتم، ماأقمتم على سنته، فإنه لا يرضيه إلا دخولكم الجنة»[1].

لذا فإن مما يهم الرسـول ﷺ من شأننا، أن نطيع الله ورسـوله ﷺ حتى ندخل الجنة، فـهل يعقل أن تكون هذه الطاعـة فوق ما نسـتطيع، أو يكون فيـها تشدد أو تزمت؟!!

وإذا سلَّمنا بأن الحجاب تشدد أو تزمت، فما هو اليُسر؟

فلو قال أحـدٌ إن اليسر هو التـبرج، قلنا له كـيف يكون يسرًا وهو كبـيرة من الكبائر، وصاحبته لا تدخل الجنة ولا تجد ريحها كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ .

سبحانك هذا بهتان عظيم

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» (٤/ ٢١٨).

(فصل)

وأما قولك: إن التبرج أصبح أمـرًا مألوفًا وعاديًا، لا يلفت النظر إليه، ولا يثير الغرائز والشهوات، فهو قول مردود وغير صحيح، ويدحضه الواقع[١].

فلمن ينظر الشباب وهو يقف على قارعة الطريق: للفـتاة المحجبة، أم لفتاة البنطلون والعُري؟ ومن تُغتصب من الفتيات: المحجبة أم المتبرجة المثيرة للغرائز؟

وهل معنى كلامك هذا أن الشباب في الطريق لا يضايـق المتبرجات لاسيما المبالغات منهن في الزينة والخلاعة؟

وهل معنى كـلامك هذا أن الشباب ـ بل والشـيوخ ـ لا ينظرون إليك وأنت تتمايلين في الطريق بمشيك ورائحة عطرك الجذابة، وينظرون إلى المحجبة التي لا تثيرهم بأدنى إثارة، أو تحرك فيهم أي شهوة؟!

وكيف يكون التـبرج أمـرًا عاديًا، والمرأة لا يزداد جمـالها إلا عندمـا تتزين وتـتجمل بدليل أن الزوجـة في بيتـها لا تسـتمـيل قلب زوجهـا، إلا بمزيد من الملابس الجميلة، والعطر الفواح والزينة الجذابة.

ولو كان التبـرج أمرًا عاديًا كما تقولين، فلمـاذا نهى الله عنه؟ وعدَّه العلماء من الكبائر.

(وإنَّ المتحجـبة تشبه كـتابًا مغلقًا، لا تُعلم محـتوياته وعدد صفـحاته، وما يحمله من أفكار، فطالما كان الأمـر كذلك، فإنه مهمـا نظرنا إلى غلاف الكتاب

---

(١) يقول الدكتور محمد سعيد البـوطي: إن رؤية المناظر، والمواقف الجنسية المثيرة في بلدة كالسويد مثلاً، تعتبر أمرًا عاديًا لا يثير استغرابًا ولا اسـتهجانًا بالنسبة لأولئك الذين نشؤوا وعاشوا في تلك الأجواء، فهل يعني ذلك أنهم قد تجاوزوا طبـيعة التأثير بدواعي الانحراف وأسبـابه، فهم لا ينحطون إليها ولا يتأثرون بها؟!ـ أي مجنون من الناس يقول هذا. (إلى كل فتاة تؤمن بالله ـ ص١٠٠).

ودققنا النظر، فإننا لن نفهم محتوياته، ولن نعرفها، بل ولن نتأثر بها، وبما تحمله من أفكار.

وهكذا المتحجبة غلافها حجابها، ومحتوياتها مجهولة بداخله، وإن الأنظار التي ترتفع إلى نورها لترتد حسيرة خاسئة، لم تظفر بأقل القليل.

أمَّا تلك المتبرجة، فتشبه كتابًا مفتوحًا تتصفحه الأيدي، وتتداوله الأعين سطرًا سطرًا، وصفحة صفحة، وتتأثر بمحتوياته العقول، وتفسد النفوس لكونه كتابًا يحمل فكراً منحرفًا، فلا يترك حتى يكون قد فقد رونق أوراقه، فتثنت أو حتى تمزق بعضها، إنه يصبح كتابًا قديمًا لا يستحق أن يضع في واجهة مكتبة بيت متواضعة، فما بالنا بواجهة مكتبة عظيمة!

إن هذه المتبرجة كتاب منحرف لا يحمل علمًا فاضلاً، ولا فكرًا مستقيمًا، وإنه وإن كان يعطي تأثيراً معينًا لدى ضعاف النفوس، فإن هذا الكتاب وأمثاله، مصيرهم معروف لدى كل إنسان عاقل مهذب مستقيم شريف)[1].

وتقول الكاتبة نعمت صدقي ـ رحمها الله ـ:

فزينة المرأة وظهور جمالها بين الرجال غواية وإغراء، وشرارة تضرم ما كمن وخمد في نفوسهم من شهوة حيوانية، كما أن رؤية الطعام وشم رائحته يوقظان الشهية، والنفس لا تشتهي إلا ما تقدمه العين لها، ولذلك أمر الله تعالى الرجال أن يغضوا من أبصارهم وأتبعها بقوله: ﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ ▪ وكذلك أمر النساء بأن يغضضن من أبصارهن وأتبعها بقوله: ﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ (سورة النور: ٣١).

ومعنى ذلك أن النظر بريد الزنا.

---

(١) «المتبرجات»، للزهراء فاطمة بنت عبد الله، (ص ١٨٨).

فما بال النساء قد غفلن وخدعن أنفسهن، فزعمن أن التبرج قد أصبح أمرًا عاديًا مألوفًا لا يؤثر على الأخلاق، ولا يثير دفائن الشهوات، ولا يوقد نار المحرم من اللذات، أما إنهن لو عقلن لعلمن أن هذا الزعم باطل ومحال ولا شك فإنه لو كان الأمر كذلك لصدق في حالة الزوج مع زوجته ولانقلبت المودة بينهما إلى عداوة، والشوق نفوراً، ولأصبح كل من الزوجين حريصًا على أن يغير زوجه بعد حين من الزمن.

فهل هذا الواقع؟!

كلا ... فإن الرجولة هي الرجولة، والأنوثة هي الأنوثة وإن الجاذبية بين الرجل والمرأة هي الجاذبية الفطرية، لا تتغير مدى الدهر، وهي شيء يجري في عروقهما وينته في كل من الجنسين ميوله وغرائزه الطبيعية. فإن الدم يحمل الإفرازات الهرمونية من الغدد الصماء المختلفة، فتوثر على المخ والأعصاب وغيرها من الأعضاء، بل إن كل جزء من كل جسم يتميز عما يشبهه فى الجنس الآخر، ولذلك تظهر صفات الأنوثة في المرأة في تركيب جسمها كله، وفي شكلها، وفي أخلاقها وأفكارها وميولها، كما تظهر مميزات الذكورة في الرجل في بدنه وهيئته وصوته وأعماله وميوله. وهذه قواعد فطرية طبيعية لم تتغير من يوم أن خلق الله الإنسان ولن تتغير حتى تقوم الساعة ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ (سورة القيامة: ٣٧-٣٩)، ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ (سورة الروم: ٣٠)، ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ (سورة فاطر: ٤٣).

ويقول صاحب الظلال ـ رحمه الله ـ:

«إن الإسلامِ يهدف إلى إقامة مجتمع نظيف، لا تهاج فيه الشهوات فى كل لحظة، ولا تستثار، فعمليات (الاستثارة) المستمرة تنتهي إلى سُعار شهواني، لا ينطفىء ولا يرتوي، والنظرة الخائنة، والحركة المثيرة، والزينة المتبرجة، والجسم العاري، كلها لا تصنع شيئًا إلا أن تهيج ذلك السعار الحيواني المجنون.

ولقد شاع في وقت من الأوقات أن النظرة المباحة، والحديث الطليق والاختلاط الميسور، والدعابة المرحةبين الجنسين، والاطلاع على مواطن الفتنة المخبوءة. . .شاع أن كل هذا (تنفيس) وترويح، ووقاية من الكبت، ومن العقد النفسية . . . شاع هذا على أثر انتشار بعض النظريات المادية القائمة على تجريد الإنسان من خصائصه التي تفرقه عن الحيوان، والرجوع إلي القاعدة الحيوانية الغارقة فى الطين ـ وبخاصة نظرية فرويد ـ ولكن هذا لم يكن سوى فروض نظرية.

رأيت بعينيّ في أشد البلاد إباحية، وتفلتًا من جميع القيود الاجتماعية، والأخلاقية، والدينية، والإنسانية ما يكذبها، وينقضها من الأساس. . .نعم شاهدت في البلاد التى ليس فيها قيدٌ واحدٌ على الكشف الجسدى، والاختلاط الجنسى بكل صوره وأشكاله؛ أن هذا كله لم ينته بتهذيب الدوافع الجسدية، وترويضها، إنما انتهى إلى سعار مجنون لا يرتوي ولا يهدأ إلا ريثما يعود إلى الظمأ والاندفاع.

وشاهدت من الأمراض النفسية، والعقد التي كان مفهومًا أنها لا تنشأ إلا من الحرمان، شاهدتها بوفرة ومعها الشذوذ الجنسى بكل أنواعه، ثمرة مباشرة (للاختلاط) الذي لا يقيده قيد ولا يقف عنده حد.

إن الميل الفطري بين الرجل والمرأة ميل عميق، وإثارته في كل حين تزيد من عرامته، فالنظرة تثير، والحركة تثير، والضحكة تثير، والدعابة تثير، والطريق المأمون هو تقليل هذه المثيرات، وذلك هو المنهج الذي يختاره الإسلام، مع تهذيب الطبع، وتشغيل الطاقة البشرية بهموم أخرى في الحياة، غير تلبية دافع اللحم والدم» اهـ[1].

(فصل)

أما ادعاء أن الحجاب من عادات الجاهلية البالية، فهو والله ادعاء كاذب وأحمق.

إن العرب قبل الإسلام وهم في جاهليتهم لم يعرفوا الحجاب، بل ذم الله تعالى تبرج نساء الجاهلية، وحذر نساء المسلمين أن يتبرجن مثلهن فقال تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ ﴾ (سورة الأحزاب: ٣٣)، فلما جاء الإسلام وفرض الحجاب علي المرأة أراد بذلك أن يرتقي بها من هذه الجاهلية العفنة إلى حيث العفة والاحتشام وصون الكرامة، ومنع أذى الفساق والمغرضين عنها.

ثم كيف يتبجح كل من يظن أن الأمر بستر النساء وصيانتهن والحفاظ على عفتهن وطهارتهن رجعية؟!!

لماذا لم يكلف هؤلاء أنفسهم قراءة كتاب الله عزَّ وجلَّ أو أحاديث رسول الله ﷺ حتى لا يحكموا هذا الحكم الجائر، الذي يقوض إيمانهم بالله؟

إذا كان الحجاب من عادات الجاهلية البالية كما تقولون! فقولوا لنا: وماذا فعلت المدينة والتحضر بالمرأة؟!!

(١) «في ظلال القرآن» للأستاذ سيد قطب ـ رحمة الله ـ ،(ص٢٥١١) باختصار.

لقد خرجت المرأة كاسية عـارية، وتفننت في إغرائها للرجال بجميع أنواع الملابس المتاحـة لها، فمـاذا حدث؟ هل تقدمنا؟!! وهل قـلت جريمة الزنا في المجـتمع؟!! وهل هدأ الشـباب؟!! لا بل زاد الفـساد وعمَّ الفـجور، وانهـار البنيان الاجتـماعي والسلوكي والخلقي والصحي، وراجعوا حقـيقة ذلك على صفحـات الجرائد والمجلات التي تعج كل يوم بالمآسي والأحـداث التي كانت من آثار تبرج المرأة.

إن الذين يتشدقون اليوم بالمدنية والتحـضر، وأننا أصبحنا على أعتاب القرن الحادي والعشرين، ويزعـمون أن التبرج هو ما تقتضيـه هذه المدنية، قوم جهلوا معنى الاسـتسلام والانقـياد لأوامر الله تعـالى، وقوم حُـرموا من أسمى مـعاني الأخلاق والحياء والعفة.

فأيُّ مدنية هذه التي تصرفكم عن طاعة الله تعالى!

وأيُّ مدنية هذه التي تحضكم على معصية الله تعالى!

وأيُّ تحضر هذا الذي يصدكم عن دين الله!

وأيُّ تحضر هذا الذي يسلب منكم الحياء والعفة!

هذا هو شعـارك أيتها المسلمة، وهذا هو صـراخك في وجه كل من يريد بك سوءاً ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ (سورة آل عمران :٨٣).

الشبهة السادسة

لن أتحجب إلا بعد الزواج، أو تقول: عندما أكبر.

الرد على هذه الشبهة

هذه الدعوى الباطلة تتردد أيضًا على لسان الآباء والأمهات، فالبنت لا تتحجب إلا إذا تزوجت!!

سبحان الله، لو ماتت الفتاة الآن؟ ماذا تقول لربها؟

ولو مات الوالدين أو أحدهما، ماذا يقولان لربهما يوم القيامة؟

ففي ثنايا هذه الشبهة الواهية رجم بالغيب، بأنهم سيعيشون حتى تتزوج الفتاة! ثم لماذا تأخير الحجاب حتى الزواج؟!!

من البديهي رغبة الجميع في بقاء الفتاة بجمالها وزينتها سلعة في سوق الزواج، حتى توقع «عريس الغفلة» أو فريستها في مصيدة الزواج منها، وهذا أسلوب خاطئ تمامًا في الارتباط بزوج يحفظ عليها دينها ودنياها، ويكفيها مؤونة الانحراف الفكري والسلوكي، وهل بهذه الطريقة يكون اختيار الفتاة لزوجها، واختيار الرجل لزوجته؟ وهل بهذا الأسلوب ستكون المودة والرحمة والسعادة الزوجية بين الزوجين؟

(تلك هي حجة الأمهات لبناتهن، تحسب الواحدة منهن أنها تجلب الخير بذلك لابنتها، وتقرب السبيل لها إلى اختيار فتى أحلامها، ويزيدها في ذلك اندفاعًا إغراءات جنود الشيطان من حولها، يستغلون لديها هذه الرغبة، فيزيدون من مخاوفها إن تزينت ابنتها بلباس الإسلام، ويدعمون آمالها إن هي تحررت منه، وانساحت بين صفوف الشباب تعرض من زينتها عليهم، وتخلط نفسها بهم!

وأقول لك: إنها لخدعة باطلة توحي بعكس الواقع والحقيقة!

خدعة يصنعها دعاة الباطل على علم، وتنطلي على أفكار الفتيات وأمهاتهن جهلاً وخداعًا، ولو تأملت الواقع الذي نعيش فيه، لرأيت نسبة الإقبال على الأسر والفتيات المحافظات للزواج منهم أكثر، بما يقارب الضعف من الإقبال على الأسر المتحررة اللاتي يطبقن الوصفة الخادعة التي اغتررن بها.

بل إن الزواج ـ عمومًا ـ يشيع بين الأسر المحافظة المتدينة أكثر مما يشيع بين الأسر الأخرى بنسبة تزيد على الضعف، يعلم تفاصيل ذلك كل من يرجع إلى الإحصائيات المفصلة في هذا الشأن)[١].

ثم ماذا تفعل الفتاة ـ وكذا أولياء أمرها ـ إن لم تتزوج؟

لقد وقعوا جميعًا في الإثم بسوء اختيار الزوج المناسب لابنتهم، وبسوء اختيار الفتاة لفتى أحلامها، بل سيتمادون فيه، أملاً في زواجها وإن تقدم بها السن، وهكذا يزين لهم الشيطان حتى يوقعهم فى عبادته فيكونون جميعًا أسر طاعته.

(ومن العجيب أن هناك نسبة كبيرة من الأمهات ـ بعضهن متدينات ـ ملتزمات بما أمر الله به من أوامر شرعية ومنها ستر الجسم، يدفعن بناتهن للتبرج دفعًا، ويعملن علي إبرازهن أمام الشباب، بشتى الوسائل ، وتترك الواحدة منهن ابنتها تمشي إلى جوارها فى الشارع، مسترسلة الشعر، مرتدية لأحدث الأزياء التي تصبح فيها كاسية عارية، مصبوغة الوجه، متكلفة الهيئة، وكأنها عروس ستزف إلى عروسها، فتبدو صورة الأم المحجبة وابنتها المتبرجة صورة نشاز تقزز النفس، وتثير السخرية والاستهزاء، وعُذر الأم فى ذلك أنها تخشى أن يحجب

(١) «إلى كل فتاة تؤمن بالله» (ص ١٠٦ - ١٠٧).

الحجاب عن ابنتها الخُطَّاب، أجهلت هذه الأم أن الزواج أمرٌ مقدر من الله وليس بالإغواء والإغراء)[١].

ومن العجب الذي يصادف الإنسان عندما يناقش ولي أمر في حجاب بناته، فيقول: البنت لاتزال صغيرة، وعندما تكبر ستتحجب إن شاء الله؟!!!

وبالطبع مثل هذا التفكير الأعوج يُفرغ لنا في النهاية حجابًا «على الموضة» وليس حجابًا شرعيًا إن تحجبت البنت فعلاً بزعمهم.

ثم ما معنى «عندما تكبر البنت»؟!!

أليست قد حاضت؟ فإن قلت: نعم، فإنها إذن قد كبرت عرفًا وشرعًا، لأنها يمكن أن تحمل، وهذا دليل على أنها قد كبرت بالفعل.

وهل عبوديتنا لله تعالى وحبنا له وإيماننا به، يدفعنا إلى معصيته بكل إصرار، آملين في التوبه عند الكِبر؟!! وهل إذا وافتك المنية ستكون هذه الشبهة عذراً لك عند الله تعالى أن يغفر لك ويعفو عنك؟!!

ثم لو مدَّ الله في عمرك فما أدراك أنك ستتوبين إلى الله تعالى؟ أليس هناك احتمال أن تستمري في غيِّك وبعُدك عن طريق الهدى والعفاف؟

لابد أن تعلم الأمهات والفتيات أن أمر الزواج كأمر الرزق، لا دخل للزي ولا لغيره فيه، وإنما هو تقدير الله سبحانه وتعالى، بل إن العفة والاحتشام هما مطمع كثير من الشباب اليوم كما ذكرنا، وتأملي قوله ﷺ: **«واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأن ما أصابك لم يكن ليخطئك»**[٢].

---

(١) «المتبرجات»، (ص١٣٧).

(٢) رواه ابن حميد في مسنده.

ثم إن الفتاة المتبرجة تتحمل أوزار كل من ينظر إليها ويُفتن بها طوال العام، فهل ستتحمل هذا العبء الكبير من الأوزار والآثام حتى تكبر، أو حتى تتزوج فتتحجب، ثم ما أدراك أن الله تعالى سيقبل منك هذا الحجاب عندما تكبرين؟ لاسيما وأنك لم تتحجبي لله، والله لا يتقبل إلا من عباده المتقين.

وهذه نصيحة غالية من إحدى بنات جنسك قالت:

(. . . أيتها الطالبة الفاضلة! . أيتها الأخت المربية! . أيتها الأم الحاضنة! أنت مهد الرجال، ومنبت الأبطال، وأم العظماء، ومدرسة القادة والأفذاذ. أنت مفخرة الزمان، وأساس البناء، ونواة المجتمع، أنت زميلتي أمل الأمة، بصلاحك يصلح المجتمع بأسره، وتسعد الأجيال قاطبة، وبانحرافك - لا سمح الله - ينهار كيان الأمة، ويتحطم بنيانها، فأنت صلب البناء الذي تقوم عليه أعمدة الخير، وأنت في الوقت ذاته العقبة التي تتحطم عليها الآمال العظام متى حادت عن الطريق.

إنهم يهتفون لك، ويلوحون بالموضة، بالأزياء، بالفَرنجة، بالتحرر، بالحب، بالجمال، بالفن، بالزينة، بكل ما يغري الأنوثة من أسماء، وكلها شراك خبيثة، ومصائد تفتك بعفتك، وتخدش حياءك، وتنال من كرامتك، وتدنس من عرضك أو شرفك، وتقتل مروءتك، وتزعزع عقيدتك، ثم ترمي بك في أوحال الرذيلة، ومستنقعات الجريمة، وهول الدمار، فاستيقظي أختي المسلمة، وكوني على حذر، فلا تخدعك سموم هذه الألقاب الجوفاء، والأسماء اللامعة، والشهيرة المصطنعة، فقد تندمين ولات ساعة مندم، وتصرخين فلا تجدين من يمد لك يد المساعدة)[١].

---

(١) «دليل الطالبة المؤمنة»، جمع الخلف.

الشبهة السابعة

أريد أن أتحجب ولكن زوجي يرفض، أو والديَّ يرفضان، أو أحدهما، لذا لم أتحجب إرضاءً وطاعةً لهم.

الرد على هذه الشبهة

هذه الشبهة متعلقة بجهل الكثيرات بحقيقة العبودية في الإسلام؛ لذا كان من نتائج ذلك، تقديم طاعة غير الله على طاعة الله، أو على الأقل الصراع النفسي الذي تعيشه الفتاة أو المرأة في كيفية التوفيق بين طاعة الله تعالى ورضا الوالدين أو الزوج.

إن حقيقة العبودية في الإسلام هي: الاستسلام التام والخضوع لأوامر الله عزَّ وجلَّ، حتى يبقى القلب مملوءاً بخشية الله تعالى، ولا يزاحمه أحدٌ غير الله عزَّ وجلَّ، وتظل الجوارح مسخرة في طاعة ربها جلَّ وعلا.

إن من مظاهر عبوديتك لله عزَّ وجلَّ تقديم حكم الله على حكم غيره، وتقديم طاعة الله على طاعة غيره، وتقديم رضا الله على رضا غيره، وإلا فلتراجعي إيمانك قبل لقاء الله تعالى، قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ** ﴾ (سورة التوبة: ٢٤).

فمن علامات حبك لله ولرسوله ﷺ تقديم طاعتهما على طاعة أي مخلوق على الأرض وإلا كنت كاذبة في دعواك المحبة لله عزَّ وجلَّ والمحبة لرسوله ﷺ.

ثم هل ينفعك والداك أو أحدهما أو زوجك يوم القيامة؟ هل سيدفع أحدٌ منهم عنك عذاب الله تعالى؟ هل سيستطيع أحدٌ منهم أن ينجيك من هول الموقف يوم القيامة؟ بل على العكس، كلٌ يقول: نفسي نفسي.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ (سورة عبس: ٣٤-٣٧).

قال ابن كثير: (قال عكرمة: يلقى الرجل زرجته فيقول لها: يا هذه أي بعل كنت لك؟ فتقول: نعم الرجل كنت، وتثني بخير ما استطاعت، فيقول لها: فإني أطلب إليك اليوم حسنة واحدة تهبيها لى لعلى أنجو مما ترين، فتقول له: ما أيسر ما طلبت، ولكن لا أطيق أن أعطيك شيئًا، أتخوف مثل الذي تخاف.

قال: وإن الرجل ليلقى ابنه، فيتعلق به، فيقول: يابني أي والد كنت لك؟ فيثني بخير، فيقول له: يابني إني احتجت إلى مثقال ذرة من حسناتك، لعلي أنجو بها مما ترى، فيقول ولده: ياأبت ما أيسر ما طلبت، ولكني أتخوف مثل الذي تتخوف، فلا أستطيع أن أعطيك شيئًا...

وفي الحديث الصحيح في أمر الشفاعة أنه إذا طلب إلى كل من أولي العزم أن يشفع عند الله في الملأ يقول: نفسي لا أملك إلا نفسي نفسي، حتى أن عيسى ابن مريم يقول: لا أسأله اليوم إلا نفسي، لا أسأله مريم التي ولدتني ... من هول ذلك اليوم)[١].

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٤٧٣).

فسبحان الله! لنتدبر جميعًا! كيف أن الزوجة والولد أعز الخلق على قلب الرجل ـ يخافان على نفسيهما قبل غيرهما، بل ويفر كل واحد من الآخر للنجاة بنفسه من هول يوم القيامة، فلماذا لا يفر كل واحد منا من الآخر في الدنيا إذا أمره بمعصية الله الواحد القهار؟!!

وقال تعالى أيضًا: ﴿ يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾ (سورة الانفطار:١٩)، فأي زوج هذا الذي يدفعك إلى جهنم فتطيعينه؟!!

وأي والد هذا الذي يُلقي بك إلى طريق الضلال وغضب الرحمن؟!!

وأي والدة هذه التي لا تحرص على تربية ابنتها على الصلاح والعفة وتقوى الله تعالى؟!!

إن طاعة الوالدين أو أحدهما فى معصية الله تعالى تقدح في قضية العبودية والإيمان بالله، ولنتتبع سويًا بعض آيات القرآن التي تبين لنا موقف التابعين والمتبوعين يوم القيامه، لعل فيها عظة لأصحاب هذه الشبهة.

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (١٦٥) إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ (١٦٦) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ (سورة البقرة: ١٦٥-١٦٧).

وقال تعالى أيضًا: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لا تَعْلَمُونَ (٣٨) وَقَالَتْ أُولاهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ (سورة الأعراف:٣٨-٣٩).

فهذه الآيات تصور لنا مشهد التبرؤ والتخاصم بين التابعين والمتبوعين، وبين المحبين والمحبوبين، عندما يرون العـذاب، وتتقطع بينهم كل الأواصر والعلاقات والأسباب، فـأين الوالد والوالدة؟ وأين العم والعمة؟ وأين الخـال والخالة؟ وأين الزوج والزوجة؟ سقطت كل الأقنعـة وسقطت كل قدوة فاسدة، وكل آمـر بغير أمر الله تعالى، وعجزوا عن وقاية أنفسهم فضلاً على وقاية تابعيهم.

وظهر غيظ التابعين المخدوعين ممن أطاعوهم في معصية الله تعالى، وتمنوا لو يعودون إلـى الأرض فيتـبرؤا من تبـعيـتهم لتلك النمـاذج التي تخلت عنهم في الآخرة. إنه مشـهد مؤثر يوم تقف المتبرجة وتقـول: زوجي رفض الحجاب، أو والدي رفض الحجـاب، وكل ينادي يوم القيامة: نفـسي، نفسي، حينئذ تتـيقن المرأة أنها ضلت الطريق، وقدمت طاعـة غير الله علي طاعة الله، ولابد من دفع الثمن. فاليوم حسـاب ولا عمل، وتندم وقتها ولكن بماذا ينفع الندم؟!!

فاستحضري يامسكينة هذا المشهد العصيب يوم القيامة قبل أن تقفـيه حقيقة ثم انظري من تطعين؟ ومن ينفعك يوم الحشر؟

الشبهة الثامنة

أحرج من كلام الناس، وأخجل من سخريتهم منِّي بسبب الحجاب، فضلاً أن التبرج عنوان تحرر المرأة وتحضرها.

الرد على هذه الشبهة

إن سخرية المستهترين الغافلين من المؤمنين المستقيمين هي الحرب القائمة منذ قديم الأزل حتى قيام الساعة بين الحق والباطل، بين الكفر والإيمان، بين المعصية والطاعة. والواجب على المسلمة العاقلة الصبر على طاعة الله تعالى، ولا يثنيها كلام المستهترين عن تقوى الله تعالى.

من الذي قال لك: أنك عندما تسيرين في طريق الهداية والاحتشام، ستجدين الناس على صفي الطريق يصفقون لك، ويؤيدونك، ويؤازرونك؟!!

لا! بل كلما تمسكت المسلمة بدينها أكثر وأكثر، ازداد ابتلاؤها من الله تعالى، ليختبر إيمانها. وهذه السخرية والاستهزاء من الناس من الابتلاءات ـ التي تعتبر يسيرة لو قورنت بابتلاءات أخرى ـ وهذه سنة الله تعالى الماضية في عباده منذ بزوغ دعوة الأنبياء أقوامهم إلى دين التوحيد، وهذه هى الأدله:

قال تعالى: ﴿ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ (سورة هود: ٣٨-٣٩)، وقال تعالى أيضًا: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٣٣﴾

فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (سورة المطففين: ٢٩-٣٦).

إن النقد والسخرية منك بسبب استقامتك على دين الله تعالى، لا ينبغي أن يزعزع الثقة بالنفس، والتفاني في مرضاة الله تعالى، بالجهاد المستمر على طاعة الله تعالى، والصبر على الأذى الذي تلاقيه إزاء ذلك، حتى تنعمين بعاقبة ذلك وهو الفوز العظيم في الآخرة ألا وهو الجنة.

عليك أن تتلمسي رضا الله تعالى وحده، ولا تبالي بأي مخلوق لا يحرص على رضا الله تعالى، وانظري ـ هدانا الله وإياك ـ إلى الجيل الشامخ من نساء سلف هذه الأمة اللائي صبرن وجاهدن، ولم يثنهن العذاب عن الإيمان بالله تعالى.

فهذه سُمية أم عمار بن ياسر، كان بنو مخزوم إذا اشتدت الظهيرة، والتهبت الرمضاء، خرجوا بها هي وابنها وزوجها إلى الصحراء، وألبسوهم دروع الحديد، وأهالوا عليهم الرمال المتقدة، وأخذوا يرمونهم بالحجارة، وهم ثابتون على الدين، فأين سخرية الناس منك ومن حجابك من هذا العذاب في سبيل الله تعالى؟

ومنهن من كانوا يلقونها ويحملون لها مكاوى الحديد، ثم يضعونها بين أعطاف جلدها، ويدعون الأطفال يعبثون بعينها حتى يذهب بصرها.

ومنهن من كانوا يسقونها العسل، ويوثقونها بالأغلال، ثم يلقونها بين الرمال، ولها حرٌّ يذيب اللحم، ويصهر العظم حتى يقتلها الظمأ، إلى غير ذلك من الصور. والأسماء المشرقة في عالم النساء اللائي صبرن واحتملن كل الأذى في سبيل مرضاة الله تعالى والجنة.

فأين الأذى الذي سيلحقك من الناس إزاء هذا العذاب في سبيل الله تعالى.

وأنا أسألك: لو سخر منك بعض الناس من صلاتك، فهل ستتركينها؟

ولو سخروا منك بسبب تأديتك لأي عبادة أخري، فهل سيكون ذلك مدعاة لك لتركها؟!! بالطبع لا.

فلا داعي إذن أن تكون السخرية سبب لعدم التزامك بالحجاب.

(فصل)

أمَّا أن التبرج هو عنوان تحرر المرأة وتحضرها، فإنما هو كلام حفظته المرأة من ألسنة كل من يحاول مسخها والقضاء عليها، واتخاذها ألعوبة في يده يحركها كيف يشاء.

يقول اليهود في بروتوكولاتهم: علينا أن نكسب المرأة، ففي أي يوم مدت إلينا يدها ربحنا القضية.

ويقول أحدهم: لا تستقيم حالة الشرق إلا إذا رفعت الفتاة الحجاب. وقال أصدقاء الماسونية: كأس وغانية تفعلان في تحطيم الأمة المحمدية أكثر مما يفعله ألف مدفع، فأغرقوها في حب المادة والشهوات.

وهذا القسيس زويمر يبشر المؤتمرين في مؤتمر القاهرة التبشيري (١٩٠٦م) الذي ناقش خطة العالم الإسلامي، ويوصيهم بجملة وصايا كان آخرها «أن لا تقنطوا؛ إذ من المحقق أن المسلمين قد نما في قلوبهم الميل الشديد إلى علوم الأوربيين وإلى تحرير نسائهم».

وهذا (جان بول رو) يقول في كتابه (الإسلام في الغرب): «إن التأثير الغربي الذي يظهر في كل المجالات، يقلب رأسًا على عقب المجتمع الإسلامي، لا يبدو في جلاء أفضل مما يبدو في تحرير المرأة».

وغير ذلك مما يبوح به أعداء الإسلام سراً أو علانيّة من محاولاتهم الدؤوبة في إبعاد المرأة المسلمة عن الالتزام بأي شعيرة من شعائر الإسلام، حتي تصبح امرأة متحضرة، تساير العصر، ولا تنظر إلى الوراء!! ألم تفطن المرأة إذن إلى هؤلاء المخادعين الذين يروجون لتحرير المرأة، وإخراجها من حظيرة العفة والاحتشام إلى ساحة العري والفسق.

(ودفعت المرأة الثمن:

لقد فقدت المرأة التي كان يلوح لها «أنصارها» بسعادة التحرر والتطور ـ ليس فقط سعادتها ـ بل فقدت وجودها كله كامرأة ذات قيمة في المجتمع ووزن فيه، لقد قبضت فيما مضى على دينها، فقبض الله عنها السوء، وبسط لها الحلال، حتى لم تكد تينع الثمرة في بيت أبيها إلا وتمتد يد الحلال لتقطفها، فلا تفتح عينها إلا علي حليلها، ولكنها وقد ابتذلت وأهينت على يد أصدقائها وأنصارها كان أول من زهد فيها أنصارها المخادعون، ولم تعد ـ كما كانت ـ تتمتع باحترام الآباء والأزواج، ولم تعد تحاط بهالة التقدير والتعظيم، وإنما أصبحت في نظر الجميع أشبه بمحترفة تطلب العيش. وتقرع كل باب للعمل لعلها تحصل على وظيفة ـ أيًا كانت ـ تُدِرُّ عليها دراهم معدودة، تنفق أكثرها في المساحيق للتجميل، وفي الثياب القصيرة للفتنة ولفت الأنظار.

هذا هو المنحدر الفظيع والهاوية السحيقة والمصير الأسود القاتم الذي انتهت إليه المرأة في كثير من بلاد المسلمين.

والآن ..

وقد خلعت المرأة حجابها، وغادرت حصنها، وعَصَتْ ربها، فهل جنينا حقًا التقدم والرخاء والحضارة؟

لقد خالطت الرجال، واختلط الحابل بالنابل، فهل زالت العقدة النفسية؟ وهل استقرت دواخلهما؟ وهل جنينا سوى الثمار المريرة؟

لقد فتحنا بلادنا أمام حملات الغزو الفكري اليهودي والصليبي والعلماني الذي سلط علينا سموم الشبهات وسهام الشهوات التي كان أفتكها المرأة فهل وجدناهم أهدى من الذين آمنوا سبيلاً؟)[1].

فيادعاة التقدم وحرية المرأة: إلى أي مستنقع قذر تريدوننا أن نصل إليه؟ وإلى أي هاوية تريدون أن نلظى؟

(واصبري يا أختاه! على طاعة الله وتذكري أن شروط الفلاح أربعة متلازمة، بيّنها الله تعالى في سورة العصر بقوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣)﴾ (سورة العصر).

إن الله تعالى بيَّن أن الناس جميعًا في ضلال وخسران؛ إلا من تتحقق فيهم هذه الشروط الأربعة، وهي أن يكونوا آمنوا، ثم كمّلوا إيمانهم بالعمل الصالح، ثم كمّلوا غيرهم عن طريق التواصي بالحق، وهو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ثم صبروا؛ لأن من آمن، وعمل صالحًا وأمر الناس بالمعروف، ونهاهم عن المنكر، لابد وأن يلقى من يحاول رده عن عزمه، أو يسخر منه ومن عمله الصالح، ويثبطه بمختلف الأقاويل، كأن يُقال عن الحجاب: تأخر ورجعية مثلاً،

---

(١) «عودة الحجاب» للشيخ محمد إسماعيل (١/ ١٩٦)

ولهذا كانت الخاتمة الطبيعية لشروط الفلاح التى لابد أن تتحقق جميعها لا بعضها فيمن أراد أن يفوز ويفلح وينجو من عقاب الله؛ هى التوصية بالصبر، فكأنَّ الصبر ربع الدين!

وكيف لا تصبرين علي سخرية الناس، وتزينهم لك بترك الحجاب وغيره من الأمور الشرعية؟ والله تعالى يبين لك أن غرضهم إفسادك وإمالتك إلى طريق الشهوات والمنكرات، يقول تعالى: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٦) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً ﴾ (سورة النساء:٢٦-٢٧).

وكيف لا تصبرين؟ ولا تؤ ثر فيك سخرية هؤلاء المجرمين، والله تعالى يقول: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلاءِ لَضَالُّونَ (٣٢) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (٣٣) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٣٥) هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (سورة المطففين:٢٩-٣٦))[١].

(والمشاهد التى يرسمها القرآن لسخرية الذين أجرموا من الذين آمنوا، وسوء أدبهم معهم، وتطاولهم عليهم، ووصفهم بأنهم ضالون.. مشاهد منتزعة من واقع البيئة في مكة. ولكنها متكررة في أجيال وفي مواطن شتى، وكثير من المعاصرين شهدها كأنما هذه الآيات قد نزلت في وصفها وتصويرها، مما يدل على أن طبيعة الفجار المجرمين واحدة متشابهة في موقفها من الأبرار في جميع البيئات والعصور!!

(١) «المتبرجات» ص (١٤٦-١٤٧).

﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴾ . . كانوا . . فقد طوى السياق الدنيا العاجلة الزائلة. فإذا المخاطبون به في الآخرة يرون نعيم الأبرار الذين آمنوا، وهو يذكر لهم ما كان في أمر الدنيا!

إنهم كانو يضحكون من الذين آمنوا استهزاءً بهم، وسخرية منهم، إما لفقرهم ورثاثة حالهم، وإما لضعفهم عن رد الأذى، وإما لترفعهم عن سفاهة السفهاء . . فكل هذا مما يثير ضحك الذين أجرموا، وهم يتخذون المؤمنين مادة لسخريتهم أو فكاهتهم المرذولة، وهم يسلطون عليهم الأذى، ثم يضحكون الضحك اللئيم الوضيع، يصيب الذين آمنوا، وهم صابرون مترفعون متجملون بأدب المؤمنين!

﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴾ . . يغمز بعضهم لبعض بعينه، أويشير بيده، أو يأتي بحركة متعارفة بينهم سخريةً من المؤمنين، وهي حركة وضيعة واطية تكشف عن سوء الأدب، والتجرد من التهذيب، بقصد إيقاع الانكسار في قلوب المؤمنين، وإصابتهم بالخجل والربكة، وهؤلاء الأدغال يتغامزون عليهم ساخرين!

﴿ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ ﴾ بعدما أشبعوا نفوسهم الصغيرة الرديئة السخرية بالمؤمنين وإيذائهم . . . ﴿ انقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴾ . . راضين عن أنفسهم، مبتهجين بما فعلوا، مستمتعين بهذا الشر الصغير الحقير. فلم يتلاوموا ولم يندموا، ولم يشعروا بحقارة ما صنعوا وقذارة ما فعلوا. وهذا منتهى ما تصل إليه النفس من إسفاف وموت للضمير! ﴿ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴾ !

وهذه أعجب . . . فليس أعجب من أن يتحدث هؤلاء الفجار المجرمون عن الهدى والضلال، وأن يزعمون حين يرون المؤمنين، أن المؤمنين ضالون، ويشيروا إليهم مؤكدين لهذا الوصف في تشهير وتحقير: ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴾ !

والفجـور لا يقف عند حـد، ولا يستحـيي من قول، ولا يتلوم مـن فعل. واتهام المؤمنين بأنهم ضالون حين يوجهه الفجـار المجرمون، إنما يمثل الفجور في طبيعته التي هي تجاوز لجميع الحدود!

والقرآن لا يقف ليـجـادل عن الذين آمنوا، ولا ليناقش طبيعة الـفرية. فهي كلمة فاجرة لا تستحق المناقشة لكنه يسخر سخرية عالية من القوم الذين يدسون أنوفهم فيما ليس من شأنهم، ويتطفلون بلا دعوة من أحد في هذا الأمر. ﴿وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾ . . . وما وكلوا بشأن هؤلاء المؤمنين، وما أقيموا عليهم رقـباء، ولا كُلـفوا وزنهم وتقـدير حـالهم! فـمـا لهم هم وهذا الوصف وهذا التقرير!

وينهي يهذه السخرية العالية حكاية مـا كان من الذين أجرموا فى الدنيا. .ما كان . . وينطوي هذا المشهـد الذي انتهى، ليعرض المشهـد الحاضر والذين آمنوا في ذلك النعيم: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾ .

اليوم والكفـار محجوبون عن ربهـم، يقاسون ألم هذا الحجـاب الذي تهدر معه إنسانيـتهم، فيصلون الجحيم، مع الترذيـل والتأنيب حيث يقال: ﴿هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ (سورة المطففين:١٧).

اليـوم والذيـن آمنوا على الآرائك ينظـرون في ذلك النعـيم المـقـيم، وهم يتناولون الرحيق المخـتوم بالمسك الممـزوج بالتسنيم، ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ .

والقرآن يتوجـه بالسخرية العالية مـرة أخرى وهو يسأل: ﴿هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ؟

أجل! هل ثوبوا؟ هل وجدوا ثواب ما فعلوا؟وهم لم يجدوا «الثواب» المعروف من الكلمة، فنحن نشهدهم اللحظة في الجحيم! ولكنهم من غير شك لاقوا جزاء ما فعلوا. فهو ثوابهم إذن، وياللسخرية الكامنة فى كلمة الثواب فى هذا المقام!

ونقف لحظة أمام هذا المشهد الذى يطيل القرآن عرض مناظره وحركاته ـ مشهد سخرية الذين أجرموا من الذين آمنوا في الدنيا ـ كما أطال من قبل في عرض مشهد نعيم الأبرار وعرض مناظره ومناعمه. فنجد أن هذه الإطالة من الناحية التأثيرية فن عال فى الأداء التعبيري، كما أنه عال في العلاج الشعوري. فقد كانت القلعة المسلمة في مكة تلاقى من عنت المشركين وأذاهم ما يفعل في النفس البشرية بعنف وعمق. وكان ربهم لا يتركهم بلا عون، من تثبيته وتسريته وتأسيته.

وهذا التصوير المفصل لمواجعهم من أذى المشركين، فيه بلسم لقلوبهم. فربهم هو الذي يصف هذه المواجع. فهو يراها، وهو لا يهملها ـ وإن أمهل الكافرين حينًا ـ وهذا وحده يكفي قلب المؤمن ويمسح على آلامه وجراحه. إن الله يرى كيف يسخر منهم الساخرون. وكيف يؤذيهم المجرمون. وكيف يتفكه بآلامهم ومواجعهم المتفكهون. وكيف لا يتلوم هؤلاء السفلة ولا يندمون! إن ربهم يرى هذا كله، ويصفه في تنزيله، فهو إذن شيء فى ميزانه . . . وهذا يكفي! نعم هذا يكفي حين تستشعره القلوب المؤمنة مهما كانت مجروحة موجوعة.

ثم إن ربهم يسخر من المجرمين سخرية رفيعة عالية فيها تلميح موجع. قد لا تحسه قلوب المجرمين المطموسة المغطاة بالرين المطبق عليها من الذنوب، ولكن قلوب المؤمنين الحساسة المرهفة، تحسه وتقدره، وتستريح إليه وتستنيم!

ثم إن هذه القلوب المؤمنة تشـهد حـالها عند ربهـا، ونعيـمهـا في جناته، وكرامـتهـا في الملأ الأعلى، على حين تشهـد حال أعدائهـا ومهانـتهم في الملأ الأعلى وعـذابهم في الجـحيم، مع الإهـانة والترذيل. . تشـهـد هذا وذلك في تفصيل وفى تطويل. وهى تستشعر حالها وتتذوقه وتذوق الواقع اليقين. وما من شك أن هذا التـذوق يمسح عـلى مـرارة مـا هى فـيـه من أذى وسـخـرية وقلة وضعف. وقد يبلغ فى بعـض القلوب أن تتبدل هذه المرارة فيهـا بالفعل حلاوة، وهى تشهد هذه المشاهد فى ذلك القول الكريم.

ومما يلاحظ أن هذا كـان هو وحـده التسليـة الإلهـية للمـؤمنين المعـذبين المألومين، والجحيم للكافرين. وتبديل الحالين بين الدنيا والآخرة تمام التبديل. . وهذا كـان وحـده الذى وعـد به النبي - ﷺ - المـبايـعين له، وهم يبـذلون الأموال والنفوس!

فأما النصر فى الدنيا، والغلب فى الارض، فلم يكن أبدًا فى مكة يذكر في القرآن المكى فى معرض التسرية والتثبيت.

لقد كان القرآن ينشئ قلوبًا يعدها لحمل الأمانة، وهذه القلوب كان يجب أن تكون من الصـلابة والقـوة والتجـريد بحـيث لا تتطلع - وهى تبـذل كل شيء وتحتمل كل شيء - إلى شيء في هذه الأرض. ولا تنتظر إلاَّ الآخرة، ولا ترجو إلا رضـوان الله، قلوبًا مسـتـعدة لقـطع رحلة الأرض كلهـا في نصب وشقـاء وحرمان وعذاب وتضحية واحـتمال، بلا جزاء في هذة الأرض قريب، ولو كان هذا الجزاء هو انتصار الدعوة وغلبة الإسلام وظهور المسلمين!

حتـى إذا وجدت هذه القلوب التي تعلم أن ليس أمـامهـا فى رحلة الأرض شيء إلا أن تعطي بلا مقابل، وأن تنتظر الآخرة وحدها موعدًا للجزاء، وموعدًا

كذلك للفصل بين الحق والباطل.. حتى إذا وجدت هذه القلوب، وعلم الله منها صدق نيتها على ما بايعت وعاهدت، آتاها النصر في الأرض، وائتمنها عليه، لا لنفسها ولكن لتقوم بأمانة المنهج الألهي وهى أهل لأداء الأمانة، منذ كانت لم توعد بشئ من المنعم في الدنيا تتقاضاه، لم تتطلع إلى شئ من المنعم في الأرض تعطاه، وقد تجردت لله حقًا يوم كانت لاتعلم لها جزاء إلا رضاه!

وكل الآيات التي ورد فيها ذكر للنصر في الدنيا جاءت في المدينة بعد ذلك، وبعد أن أصبح هذا الأمر خارج برنامج المؤمن وانتظاره وتطلعه، وجاء النصر ذاته لأن مشيئة الله اقتضت أن تكون لهذا المنهج واقعية في الحياة الأنسانية تقرره في صورة عملية محددة، تراها الأجيال. فلم يكن جزاء على التعب والنصب والتضحية والآلام. إنما كان قدراً من قدر الله تكمن وراءه حكمة نحاول رؤيتها الآن!)[1].

(١) «في ظلال القرآن» (٦/ ٣٨٦٠-٣٨٦٣).

الشبهة التاسعة

الحجاب يعوقني عن التعليم والعمل.

الرد على هذه الشبهة

سبحان الله هذا بهتان عظيم.

ولماذا لا يعوق الطبيب الجراح ما يرتديه من ملابس خاصة داخل غرفة العمليات؟ وما يوضع على أنفه وفمه من كمامة؟!!

ولو فرض أن الحجاب سيعوقك عن علم معين أو عمل معين، فبالله عليك أيُعصى الله تعالى من أجل علم أو عمل دنيوي؟!!

إن الحجاب ـ أختي المسلمة ـ لا يمنع أبدًا المسلمة من الأخذ من طيبات الحياة الدنيا ولكن بالمعروف الذي رسمه الإسلام لك.

إن من يظن أن حجاب المرأة يعوقها عن أداء مهمتها في المجتمع وفق ضوابط الشرع مخطئ تمامًا، بل لانغالي إن قلنا إن لأعدائها مآرب من وراء خروجها إلى المجتمع بلا ضوابط شرعية، ألا وهو خروجها متبرجة مختلطة بالرجال، خارقة بذلك كل الحواجز بينها وبين الرجل.

(لقد رأينا الكثير من مظاهر التبذل والعري في إفريقيا وبعض جهات أوروبا، وما رأيناها تبعث بشيءمن سحر النهضة العلمية، والنشاط الفكري والثقافي؟. ولقد رأينا، في مقابل ذلك الكثير من مظهر المحافظة على شرع الله وحكمه في المظهر والزينة واللباس، دون أن ينحط هذا المظهر بصاحباته عن أوج الرقي الفكري والحركة الثقافية الناشطة.

وإن كل مُطَّلع على التاريخ، يعلم أن تاريخنا الإسلامي مليء بالنساء المسلمات اللاتي جمعن بين الإسلام أدبًا واحتشامًا وسترًا، وعلمًا وثقافة وفكرًا وذلك بدءًا من عصر الصحابة فما دون ذلك، إلى عصرنا الذي نعيش فيه.

إن التخلف له أسبابه، والتقدم له أسبابه!. وإقحام شريعة الستر والأخلاق في الأمر، خدعة مكشوفة ثقيلة لا تنطلي إلا على متخلف عن مستوى الفكر والنظر الحر.

ونحن لا نشك أنه قد التقى فى بعض الأحيان التخلف الفكري والثقافي عند المرأة بمظهر الستر والصيانة والاحتجاب كشأن المرأة اليوم في بعض أطراف الجزيرة العربية والخليج العربي، ولكن مما لاشك فيه أن هذا التلاقي لم يكن أمرًا ضروريًا وليس بينهما أي لزوم حتمي. وإنما هو واقع اتفاقي ساعدته ظروف استعمارية وفكرية معينة. وليس أسهل على المصلحين إذا أرادوا الإصلاح الحقيقي» من أن يفصلوا بين الواقعين، بوعي إسلامي سديد، يؤيد الستر والاحتشام، ويدفع إلى التزود من العلوم والثافة النافعة، ويجعل من كل منهما عونًا للآخر)[1].

(١) «إلى كل فتاة تؤمن بالله» ص(١٠٤-١٠٥).

(فصل) أختي المسلمة اعرفي عدوك

(إن أعداء المرأة هم أعداء الرجال لا فرقَ، وهم أربع طوائف:

الأولى ـ اليهود: وهم أحرصُ الناس على إفساد البشرية، وتدمير عقائدهم وأخلاقهم. وسبب تفانيهم في هذا الإفساد أنهم لا يرون لأنفسهم وجوداً إلا بإهلاك الآخرين، أو إفسادهم، ليعيشوا عبيداً لهم، كما يقولون.

الثانية ـ النصارى: أصحابُ الدِّين المحَّرف، الذين تنكبُّوا عن الدِّين، وابتعدوا عن الحق.

الثالثة ـ العلمانيون: وإن زعموا أنهم مسلمون، فهم رسل العَلْمَنَةِ الغربية، التي كان لها ما يُسَوِّغها في بلاد الغرب، فليس لها ما يسوغها في بلاد المسلمين.

الرابعة ـ النفعيون: الذين يريدون زيادة دخلِهم وكثرة أرباحهم؛ وإن كان ذلك على حساب المرأة، فهي وسيلتهم للدعاية لسلعهم، وهي وسيلتهم لاجتذاب الباعة في متاجرهم، وهي أيضًا ضغط لكثير من النفعيين الذين يستطيعون أن يضعوا في شباك المرأة أناسًا مرمُوقين، ثم تُلْتَقطُ لهم الصورُ في أوضاعٍ مُزْرِيةٍ، لتكون ورقة ضغط عليهم، يبقون بسببها عبيداً لأولئك الذين أوقعوهم في تلك المزالق)[1].

فاعرفي أختي أعداءك الحقيقيين، الذين يريدون لك السير في طريق مخالف تمامًا، لما رسمه الإسلام لك، اعرفي هؤلاء الأعداء، واعرفي أهدافهم ووسائلهم لتحقيق أغراضهم الدنيئة، ولا يلوك لسانك ماتلوك ألسنتهم. تزودي دائمًا بالكتاب والسُنَّةِ تكونين ـ إن شاء الله ـ في مأمن منهم.

---

(١) «المرأة وكيد الأعداء» د. عبد الله الشيخ، ص (١٦).

دعاة على باب جهنم[١]

يظهر على السطح بين الحين والآخر دعاة على أبواب جهنم يعادون الله ورسوله، وتزدحم أنفسهم باللدد والخصومة لشرع الله تعالى.

من هؤلاء من تجده اليوم يهاجم حجاب المرأة المسلمة من الرجال والنساء، فيدَّعون تارةً أن الحجاب ليس من الإسلام، وتارةً أخرى أن الحجاب سنة وليس فرضًا، وتارةً أخري أن الحجاب لابد أن يكون على «الموضة» ويساير العصر الذي نعيش فيه إلى غير ذلك من الأقوال الباطلة الباهتة، فهم العدو فاحذرهم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : **«إنها ستأتي على الناس سنون خداعة، يصدق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخوَّن فيها الأمين، وينطق فيها الرُّوَيْبضة»** قيل: وما الرويبضة؟ قال: **«السفيه يتكلم في أمر العامة»**[٢].

إن هناك من الأصنام والأقزام ـ نساءًا ورجالاً ـ يظن فيهم كثير من الناس أنهم من قادة الفكر والعلم، ومن القمم الشامخة في مجتمعنا، وهم في حقيقة الأمر ـ بميزان الإسلام ـ قمم زائفة ودجاجلة، وشياطين لئام، وقفوا ضد الحجاب موقفًا يخالف الشريعة وفتاوى أهل العلم الثقات، ونحن نحاول أن نعرِّيهم هنا حتى لا يغتر بهم أحد.

---

(١) مستفاد من «أعلام وأقزام في ميزان الإسلام» د. سيد العفاني، «عودة الحجاب» القسم الأول ـ د. محمد اسماعيل المقدم.

(٢) رواه أحمد، وقال الشيخ أحمد شاكر (١٥/ ٣٧ ـ ٣٨): إسناده حسن ومتنه صحيح.

١ ـ قاسم أمين:

في كتابه «*تحرير المرأة*» يقول: «إن الانتقاب والتبرقع ليسا من المشروعات الإسلامية لا للتعبد ولا للأدب بل هما من العادات القديمة السابقة على الإسلام والباقية بعده، وهي عادة عرضت على المسلمين من مخالطة بعض الأمم فاستحسنوها وأخذوا بها وبالغوا فيها وألبسوها لباس الدين كسائر العادات الضارة التي تمكنت قي الناس باسم الدين والدين منها براء، لكن بالنسبة للأمم الأخرى فإن هذه العادة تلاشت طوعًا لمقتضيات الاجتماع وجريًا على سنة التقدم والرقي»[١].

ويقول أيضًا: «إن الحجاب ليس عائقًا عن التقدم فحسب ـ بل هو مدعاة للرذيلة وغطاء للفاحشة، في حين أن الاختلاط يهذب النفس ويميت دوافع الشهوة!».

٢ ـ هدى شعراوي:

في سنة ١٩١٩ انبرت هدى شعراوي ورفيقاتها للدفاع عن حقوق الوطن وطرد المحتلين في مظاهرة نسائية مزقن فيها الحجاب وأحرقنه في ميدان التحرير. وللقارئ أن يتعجب: ما علاقة تمزيق الحجاب في الثورة ضد الجنود البريطانيين؟!

▪ ويقول الأستاذ أنور الجندي: «المعروف أن السيدة هدى شعراوي لم تكن تعبأ في دعوتها بالمفهوم الإسلامي للمرأة، أو تصدر عن فهم حقيقي لرسالة البيت والأسرة، لم تكن تتحرك في هذا الإطار، وإنما كانت تضع أمامها المرأة الغربية كمثل أعلى. ولذلك فقد شجعت أسباب الزينة والأزياء والمودات المستحدثة»[٢].

---

(١) «تحرير المرأة».

(٢) «محاولة لبناء منهج إسلامي متكامل» ـ «عالم الإسلام المعاصر» (٦٦٤ ـ ٦٦٦).

٣ ـ أمينة السعيد:

تقول في مجلة حواء (١٨ نوفمبر ١٩٧٢) عن الحجاب والنقاب:

«إن هذه الثياب الممجوجة قشرة سطحية لا تكفي وحدها لفتح أبواب الجنة أو اكتساب رضا الله، فتيات يخرجن إلى الشارع والجامعات بملابس قبيحة المنظر يزعمن أنها (زي إسلامي) لم أجد ما يعطيني مبرراً منطقيًا معقولاً لالتجاء فتيات على قدر مذكور من التعليم إلى لفٍّ أجسادهن من الرأس إلى القدمين هو والكفن سواء».

وتستطرد الكاتبة في امتهان هذا الاتجاه الكريم فتقول:

«بعضهم قال ـ أنه تقليعة جديدة تلجأ إليها الفتيات من أجل جذب لفت الأنظار بعد أن استنفد الميني جيب أغراضها، والبعض قال: إنها الرغبة في الظهور بمظهر التدين سعيًا وراء الزواج والتحايل على أزمة الزواج»[١].

وتقول أيضًا: «إن التدين ليس بالتدثر بالأكفان وإنما التدين بالإيمان والعقيدة وطهارة النفس والعفة في السلوك».

وتثرثر أمينة السعيد بنظريتها الباطلة فتقول: «إن خروج المرأة إلى مجال العمل يعني زيادة دخلها ودخل أسرتها وبهذا تستطيع أن تمنح أولادها وزوجها معًا فرصة أكبر للعيش في مستوى لائق»[٢].

---

(١) «الصحافة والأقلام المسمومة» (ص٤٤).
(٢) «المصدر السابق» (ص٤٦).

وتقول: «إن الخروج إلى العمل يكشف للمرأة الحياة كلها ويعطيها فرصة التعامل مع الناس ودراسة الحياة، وهذا كله ينعكس على شخصيتها وعلى أسرتها بشكل إيجابي يرفع من مستوى المجتمع»[١].

وتمضي أمينة السعيد في بث سمومها في كل الآفاق، فهي تعارض عودة المرأة إلى الزي الإسلامي، وترى فيه هوسًا دينيًا، وهى تعترف بأن قوامة الرجل على المرأة شئ مقرر في الإسلام، ولكنها في نفس الوقت تعتبر القوامة اليوم لا مبرر لها؛ لأن هذه القوامة مبنية علي المزايا التي كان الرجل يتمتع بها في الماضي في مجال الثقافة والمال، ومادامت المرأة استطاعت اليوم أن تتساوى مع الرجل في كل المجالات فلا مبرر للقوامة. ولاريب أن هذه الآراء المسمومة التي ترددها أمينة السعيد هي التي طرحتها سيمون دي بوفوار ومجمع المؤامرات المنعقدة على المرأة المسلمة.

٤ - نوال السعداوي:

تقول عن الحجاب: تغير شكل الحجاب ونوعه حسب تطور المجتمعات، قد يكون حجابًا ماديًا بالكامل يخفي جسد المرأة وعقلها وروحها وشخصيتها كما يحدث فى بعض البلاد حتى اليوم تحت اسم الدين أو الأخلاق، وقد يكون حجابًا من نوع آخر لا تراه العين، تفرضه التربية فى البيوت والمدارس والأحزاب السياسية التي يسيطر عليها الفكر السائد الذي يميز الرجال عن النساء.

---

(١) «المصدر السابق» (ص٤٧).

● - الشاعر أحمد عبد المعطى حجازى:

بكى حجازى بكاء مراً وهاج هياجًا شديدًا للنكبة التي نزلت بالفن؛ لأن وزيرًا مسئولاً حرّم «الموديلات العارية» في كليات الفنون. والموديلات العارية نساء يُستأجَرْن ويجلسن ويقفن أو يضطجعن ـ تبعًا للوضع المطلوب ـ عاريات تمامًا ليرسمهن الطلاب والأساتذة.

ووصف حجازي الوزير الذي أصدر القرار بالاستبداد وضيق الأفق وقال بالحرف الواحد: «نريد أن نحرر عقولنا من الخرافة، ونعالج نفوسنا من الخوف، ونعامل أجسامنا بما هي جديرة به من اعتزاز واحترام» (الاهرام ١٦/ ٦/ ١٩٩٩).

وهل لا يكون الاعتزاز بالجسد من وجهة نظره إلا بالتعرية.

ولقد رد عليه فهمي هويدي في الأهرام ٦/ ٧/ ١٩٩٩ تحت عنوان «لكي نتجنب مصير الهنود الحمر» قائلاً: «إنها فكرة غير إنسانية تبتذل جسد المرأة وتهينه . . بالمناسبة هل يقبل المدافعون عن رسم الجسد العاري أن تقف أمهاتهم أو زوجاتهم أو بناتهم هذا الموقف أمام الطلاب وغيرهم من هواة الفن؟ . . وهؤلاء المشغولون بالدفاع عن رسم الجسد العاري لم نجد لهم دوراً ولا باعًا في الدفاع عن الأمة العارية المكشوفة حضاريًا، والتي لا تكاد تجد ما يستر عورتها في سباق التقدم».

وأحمد عبد المعطي حجازي الشاعر وأقواله طوام، ويكفيك ما قاله في جريدة الأهرام يوم الأربعاء ١٠/ ٧/ ٢٠٠٢ في مقاله الأسبوعي بعنوان «الإزار والرداء» وعرّج على قول الله تعالى: ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ وهو يرى

كالعشماوي أن ألفاظ الآية ليس فيها ما يدل علي أن تغطية المرأة شعرها واجب ديني؛ لأن الخمار هو الغطاء دون تحديد.

٦ - الكاتبة إقبال بركة:

تنكر فريضة الحجاب وتشن عليه الحرب الشعواء، وتقول: «إنه يرمز لعصر الرق والإماء ولا حاجة إليه في عصرنا»!!.

٧ - المستشار سعيد العشماوي:

للعشماوي عدة مقالات عن الحجاب في (مجلة روز اليوسف) وهي الأعداد رقم ٣٤٤٤ بتاريخ١٣ يونيو ١٩٩٤، ورد علية شيخ الأزهر الدكتور طنطاوي بمقالة: «بل الحجاب فريضة إسلامية» العدد ٣٤٤٦ بتاريخ ٢٧ يونيو ١٩٩٤ ثم مقال: «فتوى الأزهر عن الحجاب غير شرعية» بمجلة (روز اليوسف) العدد ٣٤٥٤ بتاريخ ٢٢ أغسطس ١٩٩٤ ثم جمعها في كتاب «حقيقة الحجاب وحجية الحديث» طبع مؤسسة (روز اليوسف).

الحجاب دعوى سياسية:

تحت هذا العنوان كتب العشماوي: « الحجاب ـ بالمفهوم الدارج حاليًا ـ شعار سياسي وليس فرضًا دينيًا ورد في السنة النبوية، لقد فرضته جماعات الإسلام السياسي ـ أصلاً ـ لتميز بعض السيدات والفتيات المنضويات تحت لوائهم عن غيرهن من المسلمات وغير المسلمات، ثم تمسكت هذه الجماعات به كشعار لها، وأفرغت عليه صبغة دينية.. وهذه الجماعات ـ في واقع الأمر ـ تتمسك بالظواهر دون أن تتعلق بالجواهر، وتهتم بالتوافه من المسائل والهوامش من الأمور، ولا تنفذ إلى لب الحقائق وصميم الخُلُق وأصل الضمير، وقد سعت

هذه الجماعات إلى فرض ما يُسمى بالحجاب ـ بالإكراه والإعنات ـ على نساء وفتيات المجتمع كشارة يُظهرون بها انتشار نفوذهم وامتداد نشاطهم وازدياد أتباعهم، دون الاهتمام بأن يعبر المظهر عن الجوهر، وأن تكون هذه الشارة معنًى حقيقيًا للعفة والاحتشام وعدم التبرج.

وقد ساعدهم على انتشار ما يُسمَّى بالحجاب بعض عوامل منها عامل اقتصادي وهو ارتفاع أسعار تجميل الشعر وتصفيفه وازديادها عن مستوى قدرة أغلب الناس!!! والدليل على أن للعامل الاقتصادي أثرًا في انتشار ما يُسمَّى بالحجاب، أن هذا العامل ذاته هو الذي يدفع كثير من النساء والفتيات إلي العمل في الغالب ـ للحصول علي موارد مالية أو لزيادة إيراد الأسرة ـ في غالب الأحيان ـ هو الذي دفع المرأة إلى العمل علي الزعم بتحريمه، وهو الذي دفع كثيرًا من النساء والفتيات إلى وضع غطاء للرأس، وإن كان مزركشًا وخليعًا، كأنما الشعر وحده هو العورة لا بد أن تستر ثم تكون بعد ذلك غطاء لأي تجاوز أو فجور»[1].

شعر المرأة ليس عورة:

نشر هذا البحث في مجلة (روز اليوسف) العدد رقم ٣٤٥١ بتاريخ أول أغسطس ١٩٩٤ قال في نهايته: «وخلاصة الخلاصة أن شعر المرأة ليس عورة أبدًا، والذي يقول بغير ذلك يفرض من عنده ما لم يفرضه الدين، ويُلزم الناس ما لا ينبغي أن يلتزموا به، ويغيِّر ويبدل من أحكام الدين لجهل شخصي أو لمصلحة سياسية أو لأهداف نفطية».

---

(١) «حقيقة الحجاب وحجية السنة» (ص٣٠-٣١) لمحمد سعيد العشماوي ـ الكتاب الذهبي ـ مؤسسة رز اليوسف.

وهكذا تكون الجــرأة والتطـاول على الثـوابت من هــذا الدين، وإنا لله وإنا إليـه راجعون.

٨ - *إحسان عبد القوس:*

(وهو أحد المسـئولين عن إفساد هذا الجيـل بما كتبه من روايات تجـر الشباب جرّا إلى القاع، وتقتل فيهم نوازع السمو والسعي نحو مستوي خلقي أفضل، إنه يرضى مظاهر واتجـاهات الانحراف، فيـشجعــها ويمجدها ويفـلسفهـا، ويرصد اتجاهات الاستقامة والفضيلة فيخذلها، ويصدر عنها، ويحاربها)[١].

يقول «إحسان» : «إن إيماني بحرية المرأة ليس له حدود».

(وقد كتــب في إحدى توجيهــاته التي كان يبثهــا في المجلة التي تحمل اسم والدته اليهـودية (روز اليوسف) : (إنني أطالــب كل فتاة أن تأخـذ صديقــها في يدها، وتذهب إلى أبيها، وتقول له: «هذا صديقي»!).

وقال في (أخــبار اليـوم): إنه زار إحـدى الجامـعـات الألمانيـة، ورأى هناك من أوضــاع الطلاب والطالبات كـذا وكذا ـ مما يرفضُ جــبين القلم من الخجـالة بتسطيره ـ ثم قال: (فقلت في نفسي: مـتى أرى ذلك المنظر في جامعة أسيوط! لكي تراه عيون أهل الصعيد، وتتعود عليه!) اهـ[٢].

---

(١) مجلة (المجتمع) الكويتية العدد (١٨/ ١/ ١٩٧٧م).

(٢) انظر: «واقعنا المعاصر» ص (٢٩٤-٤٩٥).

(ومازال «إحسان» يقف مع كوكبة من أمثال «لويس عوض»، و«نجيب محفوظ» و«مصطفى أمين» و«يوسف إدريس» في إصرار عجيب على الترويج للفحشاء وتبريرها في نفس الوقت الذي أخذت فيه ظاهرة المرأة المسلمة المحتشمة تبدو واضحة في كل مكان على أنها واقع أصيل يصفع الداعين إلى الشهوات والآثام)[١].

٤ - نجيب محفوظ:

(الشاك في كل قيمة، المتذبذب في كل فكره، الضائع في كل واد، المتحدي لعقيدة الأمة، والمتجه ناحية المشارب الأخرى يعب منها حتى يطفح، فيفيض ما عليه على غيره، وينتكس بعد ذلك إلى غيره)[٢].

(وقد اتضح في آثاره ظاهرتان خطيرتان:

أولاهما - إشاعة الفاحشة وتبريرها. **وثانيتهما**: الإلحاد، ولهذا يوليه الماركسيون اهتمامًا خاصًا، وقد استخدموه في دعوتهم إلى الإباحة وإلى المفاهيم الهدامة للأسرة والفتاة، وعمل المرأة، وعلاقتها بالرجل)[٣].

---

(١) انظر: «الصحافة والأقلام المسمومة» ص (٢٠٥).

(٢) انظر: «الصحافة والأقلام المسمومة» ص (١٨٩-١٩٦).

- وإذا عرفنا أنه صنيعة (طه حسين) و (سلامة موسى) لم نستغرب اجتهاده في تحطيم الشباب، فإن أستاذيه كانا يعرفان أنهما يقدمان سمًا من نوع خطير إلى الأجيال الجديدة، فيخدمان به دعوتهما، ويكونان جيلاً يحمل أفكارهما. انظر المرجع السابق ص (١٨٦)،(١٨٩).

(٣) السابق، هذا وقد كافأته الأيدي الملحدة القذرة بمنحه جائزة نوبل للآداب لعام ١٩٨٨ لتأليفه رواية «أولاد حارتنا»، وجاء فى حيثيات الترشيح الرسمية ان الرواية تعنى بالبحث الأزلي للإنسان عن القيم الروحية، فآدم وحواء وموسى وعيسى ومحمد، وغيرهم من الأنبياء والرسل يظهرون فى تخفٍ طفيف) اهـ، وقد نشر ملخص هذه الرواية بجريدة النور عدد (٢٢ربيع الأول ١٤٠٩هـ)، فإذا بها تتضمن الإلحاد في ذات الله، والتفريط في جنب الله، والاستهزاء بكعبة الله، والتطاول على مقامات =

١٠ - مصطفى أمين:

خريج مدرسة «التابعي»، والصحافي البارع في وضع السموم في علب ملونة حلوة المظهر تخدع القراء، قال الأستاذ (أنور الجندي): «كان (مصطفى أمين) يصنع الأصنام ويعبدها، ويحاول أن يجر الشعب معه ليسجد لتلك الأصنام».

ومن مواقفه إزاء حركة الإصلاح الإسلامي قوله: «حارب الأحرار في هذه البلد سنوات طويلة لتحصل المرأة على بعض حقها، ويظهر أن بعض الناس يريدون العودة بنا إلى الوراء وقد يحدث هذا في أي مكان، ولكن لا نفهم أن يحدث في الجامعة مهد التقدم الفكري الحر»[(١)].

ومع أنه قلما يفصح عن أهدافه، إلاً أنه كتب يوماً تحت عنوان: (الأهداف التي ستعمل لها مصر بعد الاستقلال)[(٢)]، وجعل من أهدافه التي سيعنى بها، ويقود لها الرأي العام: (أن يحارب التعصب الديني، وأن يجدد الأزهر، وأن ينادي بتحرير المرأة قلبيًا، لأن الحب الطاهر لايزال جريمة يعاقب عليها المجتمع،

= أنبياء الله، وتجريح رسل الله، بما فيهم موسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامة عليهم أجمعين، والاستخفاف بملائكة الله، بحيث يتحقق في صاحب هذه الرواية قول القائل:

وكنت امرءاً من جند إبليس فارتقى ... بي الحال حتى صار إبليس من جندي

ولا نبالغ إذا قلنا في ضوء هذه الرواية التي رقعت بوثنيات اليونان، وإباحيات الرومان، وخبث الماسون، وإلحاد الماركسيين، لا نبالغ إذا قلنا إن انتساب «نجيب محفوظ» إلى البشرية عار على الجنس البشري، وأولى به أن يرجم كرجم العرب قبر أبي رغال، وإن الكفر البواح، والشرك الأكبر الذين تلبس بهما ليجعلانه عدوا لدودًا لكل ذي دين ولو كان يهوديًا أو نصرانيًا، فضلاً عن المسلم الموحِّد.

(١) (أخبار اليوم) (٥ نوفمبر ١٩٧٧).

(٢) وتاريخ المقال (١٥ مارس ١٩٤٣م) بمجلة الاثنين.

والمجتمع المصري إلى اليوم مجتمع لا روح فيه لأنه خالٍ من المرأة، والشباب المصري لا شخصية له لأنه ليس في حياته امرأة . . . ومن أهدافه أن يشجع المرأة على المطالبة بحقوقها السياسية، وتولي الوظائف، وأن ترث كما الرجل يرث تمامًا، وأن يدعو إلى اتحاد شرقي لا اتحاد إسلامي[1]، على نظام (الولايات المتحدة الأمريكية)[2]، ومع أن أسمى ما تطمح إليه الأمة في هذا العصر هو تطبيق الشريعة الإسلامية نجد «مصطفى أمين» يسفه هذا المطلب، ويقول: (إن حضارة مصر عمرها سبعة آلاف سنة، ولا يمكن أن تعود القهقري إلى الخلف)[3].

١١ - نزار قباني[4]:

وهو من عصابة المجان الكارهين لما أنزل الله، المحرضين على الفساد والفاحشة، يقول في بعض أحاديثه: (لو كنت حاكمًا لألغيت مؤسسة الزواج، وختمت أبوابها بالشمع الأحمر)، ويقول مستهزئًا: (العُري أكثر حشمة من التستر)، وقد حمل لواء الرفض لكل ما يمت إلى الإسلام والعروبة بصلة، ويعده المتحررون من أعمدة الدعوة إلى تحرير المرأة، قال الأستاذ «أنور الجندي»: (أما شعر «نزار قباني» الذي أوسعت له الصحافة العربية الصفحات فيكفيني في التعريف به ما كتبه «محمد سالم غيث» في كتاب له حول شعر «نزار» يقول: لقد خلع «نزار» ثياب الرجل كثيرًا، ولبس ثياب المرأة، وتقمص شخصيتها، وتحدث بلسانها، وقال: إنه يفعل ذلك «دفاعًا عن المرأة التي حكم عليها الشرق الغبي بالإعدام» حتى إنه ليقدم أحد كتبه الفاجرة إلى طالبات الجامعة الأمريكية،

---

(١) بهذا النص.

(٢) انظر «الصحافة والأقلام المسمومة» ص (٩٩ ـ ١٠٦).

(٣) انظر «الصحافة والأقلام المسمومة» ص (٩٩ ـ ١٠٦).

(٤) «الصحافة والأقلام المسمومة» ص (١٦٧ ـ ١٦٨) بتصرف.

ويقـول: «إنه كتـابكن، كـتـاب كل امرأة حكم عليـهـا الشـرق الغبي الجـاهل بالإعدام، ونفذ حكمه فـيها قبل أن تفتح فمهـا، ولأن هذا الشرق غبي وجاهل ومعـقد يضطر رجل مـثلي أن يلبس ثياب امرأة، ويسـتعـير كحلهـا، وأساورها ليكتب عنها، من مفارقات القدر أن أصـرخ أنا بلسان النساء، ولا تستطيع النساء أن يصرخن بأصواتهن الطبيعية»؟

ولا نستطيع أن نعلق على هذا إلا بما كتبه «صالح جودت» قائلاً:

«لا رحم الله نزار ـ لقد مـات كسـوريٍّ، ومات كعـربي، ومات كشـاعر، ومات كإنسان»[1] اهـ.

شـعـر:

لا بوركت تلك الأكف فـإنهـا ◘◘◘ ضـربت على الألبـاب سـداً عـاتيـاً
حجبت صديع الرشد[2] عنها فارتمت ◘◘◘ تجـتـاب ليل الغي أسـفـع داجـيـاً
بعـثـوا الصـحـائف يلتـوين كـأنما ◘◘◘ بعـثـوا بهن عـقـاربـاً وأفـاعـيـاً
صـحف يزل الصـدق عن صفحـاتهـا ◘◘◘ ويظل جـد القـول عنهـا نابيـاً
ليت الزلازل والصـواعق في يدي ◘◘◘ فـأصـبـهـا للغـافلين قـوافـيـاً
فنيت براكين القـريض ولا أرى ◘◘◘ مـا شـفني من جـهل قـومي فـانيـاً
فلئن صـمـتُّ لأصـمـتن تجلدا ◘◘◘ ولئن نطقت لأنطقن تشـاكـيـاً[3]

(١) «الصحافة والأقلام المسمومة»، ص (١٦٧ ـ ١٦٨) بتصرف
(٢) الصديع: الصبح
(٣) «الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر»، (١/ ٢٢٠).

فصول من المعركة

والآن نعرض فصولاً من المعركة التي دارت بين الحجاب والسفور في بعض البقاع الإسلامية، وقد تحولت من معركة فكرية سلاحها القلم والتضليل إلى معركة حقيقية سلاحها البطش والإرهاب والتنكيل.

أ ـ في تركيا:

(شرع أتاتورك ـ عليه من الله ما يستحقه ـ قانونه لنزع حجاب المرأة المسلمة، وراقب تنفيذه، وعاقب مخالفيه، وشنق معارضيه)[١].

«لقد رأيت كثيرات من أخواتنا يغطين وجوههن إذا ما رأين غريبًا يتقدم نحوهن، ومن المؤكد أنَّ هذا الغطاء يضايقهن كثيراً في الحر»[٢] اهـ.

وقام عام (١٩٢٥) بإجبار تركيا بأكملها ـ وليس المرأة فقط ـ على هجر الإسلام كليةً، حتى الحرف الذي تكتب به اللغة التركية متشابهًا مع لغة القرآن، أما نزع حجاب المرأة التركية فقد تم بالإرهاب والإهانة في الطرقات حين كان البوليس يقوم بنزع حجاب المرأة التركية بالقوة)[٣]، وهكذا كان نزع الحجاب خطوة ضمن حملة علمانية شاملة لإزالة كل أثر للإسلام في تركيا مركز الخلافة الإسلامية[٤].

---

(١) «المرأة المسلمة» لوهبي غاوجي الألباني ص (١٨٩).

(٢) «مصطفى كمال أتاتورك» إعداد «لجنة الرواد والمشاهير» بإشراف الدكتور رؤوف سلامة موسى ص(٩٦).

(٣) «في مسألة السفور والحجاب» لصافي ناز كاظم ص(٩)

(٤) ومن الجدير بالذكر أن زوجة أتاتورك رفضت الاستجابة لطلب زوجها حينما راودها على كشف وجهها ورأسها، وأمرها بالتخلي عن الحجاب وأصرَّت على لزوم الحجاب، حتى كان الأمر أحد أسباب طلبها الطلاق منه.

وجاء في جريدة «المسلمون» الدولية ـ العدد الثالث والثلاثون ـ السبت (٧ ـ١٣ المحرم ١٤٠٦هـ) الموافق (٢١ ـ ٢٧ سبتمبر ١٩٨٥م) تحت عنوان: (الدكتورة «نبهة كورو» هل تخلع الحجاب بالقوة في تركيا؟):

(الدكتورة «نبهة كورو» اسم تردده وكالات الأنباء العالمية حاليًا أستاذة مساعدة في جامعة إيجه في أزمير، مشكلتها أنها تعرضت للاضطهاد بسبب ارتدائها الحجاب، وإصرار السلطات على أن تخلعه.

قصتها بدأت في منتصف العام الماضي، عقب عودتها من الولايات المتحدة بعد حصولها على درجة الدكتوراه في الطاقة الشمسية، وجدت أن الحكم العسكري كان مسيطرًا على مقاليد الحكم في تركيا في ذلك الوقت، قد سيطر علي الجامعات من خلال تنظيم مجلس التعليم العالي، وأسند رئاسة المجلس إلى «إحسان دوجرماس» وهو أستاذ تلقى تعليمه في الولايات المتحدة، وقام بعد رئاسته للمجلس بشن حملة فصل تعسفي، شملت أكثر من ألفي عضو هيئة تدريس بحجة مخالفة القانون.

حرصت الدكتورة «نبهة» على ارتداء الحجاب أثناء إلقاء محاضراتها بجامعة أزمير» وسرعان ما بدأ الصدام، حيث بدأ الأستاذ دوجرماس ـ مفوض الحاكم العسكري على الجامعات ـ حملة مضايقات ضدها، وكان الإنذار الأول بألا ترتدي غطاء الرأس أثناء وجودها في الجامعة، والإنذار الثاني من السلطات الرسمية يتضمن طلبًا رسميًا بخلع الحجاب.

ورفضت الدكتورة «نبهة» خلع الحجاب، وكان ذلك بمثابة تحدٍّ وعصيان على سلطة «دوجرماس» المطلقة على التعليم العالي في تركيا، وأحيلت إلى المحاكمة، ورفضت أن يدافع عنها أحد، ووقفت لمدة ساعة تترافع عن نفسها، ولم تستشهد

إلا بنصوص القـانون العَلماني الذي يريدون أن يحاكمـوها طبقًا له، واسـتحوذ أسلوبهـا على اهتمـام الناس، وهى تطالب بإلغـاء الحكم الصادر ضـدها بخلع الحجاب، ولم تكتف بالدفاع عن الحجاب بل كشـفت أيضًا تفاصيل المعاملة غير العادية التي تقوم بها سلطات الجامعة.

وقد أعلنـت المحكمة تأجيل القـضيـة للحكم، وبعد شـهرين من التـأجيل أصدرت المحكمة العليـا حكمًا جاء في حيثيـاته: «رغم أن مواد الدسـتور تنص على حماية الحـرية الدينية لكل مواطن، إلا أن هناك مبـادئ عليا في الدولة هى المبادئ الكمالية ـ نسبة إلى مصطفى كـمال أتاتورك ـ وإن إصرار الدكتورة «نبهة» على ارتداء الحجاب ضد روح الدستور».

والدكـتورة نبـهة تقـدمت بطعن إلى المحكمـة العليا، لم ينظر حـتى الآن، ومنعت من ممارسة التدريس، ومـازالت في الانتظار تبحث عن جواب . . . من يملك الحق في تحريم الحجاب؟).

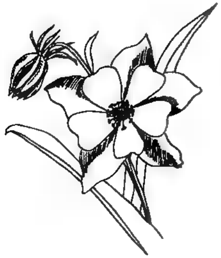

دعاة «حقوق الانسان» ضد الحجاب

أعرب «معمر إكسوى» أحد الموقعين على التماس إلى الرئيس التركى لإعطاء مزيد من الحريات للشعب عن رأيه بضرورة صياغة قانون لمنع ارتداء الحجاب في المؤسسات والهيئات الحكومية.

كما وجهت «توريكان أديكان» رئيسة منظمة الدفاع عن حقوق المرأة وعضو البرلمان، اللوم إلى زوجات أعضاء البرلمان اللائي حضرن حفل افتتاح جلساته وهن يرتدين الحجاب، وتقول: إنه لا يجب التسامح في ارتداء السيدات للحجاب، وجدير بالذكر أن «معمر» و«توريكان» من كبار الدعاة لحقوق الإنسان[1] في تركيا.

وطبقا للقانون العلماني في تركيا يعاقب كل من يكتب في الصحف، أو يشير في وسائل الإعلام الأخرى عن الشريعة الإسلامية أو الحجاب، بالسجن لمدة تصل إلى سبع سنوات، والتهديد بالإغلاق.

ورغم ذلك هناك أصوات إسلامية قوية تقف ضد التيار العلماني، الذي يطالب بمنع الحجاب، فهناك الكاتبة الإسلامية «سولي يوكسل سينلر» التي تعرضت للسجن أكثر من مرة، وتعيش في الأحياء الفقيرة في أنقرة، واكتسبت شهرة كبيرة بين أوساط النساء بدعوتها الى الحجاب، عندما ظهر أول مقال لها في صحيفة الاستقلال في عالم ١٩٦٧، تحت عنوان (خطاب إلى المرأة المسلمة)،

(١) إنما ذكرت هذا من باب إلزامهم بما ألزموا أنفسهم به ألا وهو احترام الحرية الشخصية والفكرية، وهذا الإلزام هو من باب ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ الآية، وإلا فإن ما يسمى بـ «إعلان حقوق الإنسان» يتضمن مخالفات صريحة للشرع الإسلامي، ومصادمات لمقاصده العليا مما لا يتسع المجال لبسطه.

وبدأت تجذب انتباه عشرات الآلاف في تركيا، تم القبض عليها، وحكم عليها بالسجن عامين.

وفي عام ١٩٧٢ تأسس حزب «السلامة» الإسلامي بزعامة «نجم الدين أرباكان»، وحاز على تأييد قوى في انتخابات عام ١٩٧٣، بعد ستة أشهر فقط من تأسيسه، وبدأ الحزب حملة نضال من أجل حقوق المرأة المحجبة، ولكن رئيس الحزب فوجيء باتهام موجه له بأنه يعمل على محاولة إقامة دولة دينية، ويواجه الآن حكمًا بالسجن لمدة عامين.

وقد وصل عدد الطالبات اللائي تم فصلهن من جامعة أنقرة بسبب ارتدائهن الحجاب إلى مائة طالبة، ومن بين حالات الطالبات اللاتي تم فصلهن الطالبة «ايس نورمان» التي كانت على أبواب التخرج من كلية الطب في جامعة أنقرة، وكان تخرجها بعد خمسة أشهر، إلا أن الجامعة خيَّرتها بين خلع الحجاب وبين الفصل من الجامعة و«هدم مستقبلها»!، وفضلت الطالبة الفصل من الجامعة على ألا تخلع الحجاب، وقالت: «أنها لا تشعر بالأسف على هذا الاختيار، وانها لن تتخلى عن موقفها وتخلع الحجاب».

والطالبة «ربيعة ألماظ» من كلية الطب في استنبول، كان مفروضًا أن تلقي خطابًا في حفل التخرج باعتبارها أولى الخريجات، ولكن سلطات الجامعة منعتها من إلقاء الخطاب لأنها ترتدي الحجاب.

ومن الحوادث المؤلمة في تاريخ جامعة أنقرة حادث «هايتس باباكان» والمعروف باسم حادث جامعة أنقرة في أواخر الستينات، كانت «هايتس» تدرس الأديان في جامعة أنقرة، ورفضت خلع الحجاب، وكانت حالة لم يسبق لها مثيل في كلية دراسة الأديان، وفي محاضرة عن مقارنة الأديان قام الأستاذ

«نيست كاجاتي» بطرد «هايتس» من قاعة المحاضرات بعد إهانتها بألفاظ غير لائقة لأنها ترتدي الحجاب، وقام مجلس الكلية بفصلها، وهنا وقع انقسام وتمرد بين الطلاب، وقاطعوا الدراسة، وأعلنوا الإضراب عن الطعام تضامنًا مع زميلتهم، وتم إغلاق الكلية لمدة ستة أشهر.

وتقول «هايتس» وهي تتحدث اليوم عن هذه الذكريات: (إن عميد الكلية «حسين غازي» استدعاني إلى مكتبه، وقال لي: «إنني أعلم أنك تغطين رأسك وجسمك لأنك غير قادرة على التحكم في غريزتك الجنسية، ولأنك شاذة جنسيًا فيجب أن تخجلي من نفسك».

وتضيف «هايتس»: (لقد كان يُغشى عليَّ عند سماعي هذا الكلام من أستاذ جامعي، وبدأوا في محاصرتي، وحاولوا إشاعة أنني مريضة نفسانيًا، ونصحني البعض بالحصول على شهادة طبية تثبت صحة قواي العقلية للرد على هذه الشائعات).

وفي عام ١٩٦٨ أصدرت حكومة «سليمان ديميريل» قانونًا يحظر على المدرسات المسلمات ارتداء الحجاب في العمل، وتم فصل عدد كبير منهن، واضطرت أعداد كبيرة إلى الاستقالة، ولجأ بعضهن إلى القضاء، ولكنه لم ينصفهن.

المحاميات ممنوعات من الحجاب:

ولم تنج مهنة المحاماة من الاضطهاد، فتم منع «أمينة إيكينار» ـ وهي محامية مسلمة ـ من المرافعة في المحكمة مرتدية الحجاب، ورفعت المحامية قضية ضد الحكومة كانت نتيجتها الخسارة، واضطرت إلى ترك المحاماة، والتزام منزلها.

يتغير الموقـف تدريجيًا الآن، فهناك أربع مجلات إسـلامية توزع نحو ١٠٠ ألف نسخـة أسبوعـيًا، والحكومة التـركية بدأت تطالـب بالتخفـيف من القوانين العلمانية خاصة فيما يتعلق بحجاب المرأة المسلمة.

أصدرت المحكمة العسكرية التركية حكمًـا على الكاتبة التركية المسلمة «أمينة سينليكوجلو» بالسجن ست سنوات، والنفي داخل البلاد لمدة سنتين بحجة انتهاك قوانين الدولة العلمـانية، وكانت الكاتبة التـركية قد وضـعت كتابًا عن مسـتقبل الإسلام بين النشء في تركيا الحديثة وهي متزوجة وأم لطفل واحد).

٢ - في إيـــران[1]**:**

في عام ١٩٢٦ عـندما نصَّب الإنجليـز الكولونيل «رضا بهلوى» شـاه إيران مؤسسًا للأسرة البهلوية ألغى من فوره الحجاب الشرعي، وكانت زوجتة أول من كشـفت عن رأسها في احـتفال رسمي، ثم أصـدر أوامره إلى الشرطة بمضـايقة النساء اللواتي رفضن الاقتداء بملكتهن وخرجن محجبات، فما كانت امرأة تخرج من بيتها محجبة إلا وعادت إليه سافرة، فقد كانت الشرطة تنزع حجابها غصبًا، وتستولي على عباءتها، وتهين صاحبـتها ما استطاعت إلى الإهانه سبيلاً، وحُظِرَ على الفتيات والمعلمات وضع الحجاب ودخول مدارسهن به، ومنع أى ضابط من ضباط الجيش من الظهـور في الأماكن العامة أو في الشوارع برفقة امرأة مـحجبة

(١) انظر (وجاء دور المجـوس) للدكتور مـحمد عـبد الله الغـريب ص (٩١-٩٢)، و(في مسألة السـفور والحجاب) لصافي ناز كاظم ص (٩)، واعلم أن «إيران الشيعة» لا تدرج بالمقياس الإسلامي الصحيح ضمن البلاد الإسلاميـة إلا باعتبار وجود أقلية سنية فيها، أو عـوام جهلة لم تقم عليهم الحجة، وإلا فإن شيعة إيران الروافض أبعد ما يكونون عن أصـول وفروع الإسلام كما يعلمه من له مسكه من علم أو معاشرة لهم، والله تعالى أعلم.

مهما كانت صلتها وقرابتها به، وقد كان «رضا خان» صديقًا حميمًا لكمال أتاتورك، وكان يحرص دومًا على تقليده، واقتفاء خطاه، وبالفعل كان «رضا بهلوى» في حربه للإسلام صورة طبق الأصل عن أتاتورك.

وعندما سئل ذلك الشاه عن سبب ضغطه على النسوة في نزع الحجاب، مع أن عجلة التاريخ قد تضمن له تحقيق أهدافه أجاب: «لقد نفد صبري، إلى متى أرى بلادي وقد ملئت بالغربان السود؟!» اهـ.

٣ - وفي افغانستان:

تولت السلطة نزع حجاب المرأة بقانون، وذلك في عهد «محمد أمان».

٤ - في البانيا:

حارب «أحمد زوغو» الحجاب بقانون، ثم عادت المرأة المسلمة الألبانية إلى الحجاب أيام الحرب العالمية الثانية، ثم عاد «أنور خوجا» مرة ثانية وشن حربًا شعواء على الحجاب في ألبانيا.

٥ - في روسيا:

حاربت روسيا الحجاب في تركستان والقوقاز والتشن والقرم، وسائر ما تحتل من بلاد المسلمين، وهم يبلغون ستين مليونًا.

٦ - في يوغوسلافيا:

وكذلك فعل «تيتو» في يوغوسلافيا[(١)].

---

(١) (المرأة المسلمة) لوهبي الألباني ص (١٨٩-١٩٠).

٧ - في الجزائر:

سرق «أحمد بن بيلا» الثورة الإسلامية، وحولها إلى ثورة اشتراكية بعيدة عن الإسلام، مناوئة له، ودعا المرأة الجزائرية إلى خلع الحجاب بحجة عجيبة حين قال: «إن المرأة الجزائرية قد امتنعت عن خلع الحجاب في الماضي لأن فرنسا هي التي كانت تدعوها إلى ذلك! أما اليوم فإني أطالب المرأة الجزائرية بخلع الحجاب من أجل الجرائر»[1].

٨ - في سوريا:

(طرح «حافظ أسد» فكرة تعديل قانون الأحوال الشخصية، وفكرة التجنيد الإجبارى للمرأة، كما مَزَّق الحجاب فى شوارع دمشق، ومنع المحجبات من دخول المدارس بحجابهن)[2] اهـ.

٩ - في تونس:

نادى «بورقيبة» بتخليص المرأة من قيود الدين، وجعلها رسولاً لمبادئة االعلمانية)[3]، (وفي حديث «للحبيب بورقيبة» بأهرام ٢٠/١٢/١٩٧٥م، صرح الرئيس التونسى بأنه أصدر في سنة ١٩٥٦م قانونًا بمنع تعدد الزوجات يعتبر التعدد جنحة يعاقب مرتكبها بالسجن لمدة سنة، وغرامة مالية «٢٤٠» دينار[4] اهـ.

---

(١) «واقعنا المعاصر» للأستاذ «محمد قطب» ص (٢٦٠)، ويقال إن «ابن بيلا» عاد إلى الإسلام بعد حبسه.
(٢) «هذه تجربتي، وهذه شهادتي» للأستاذ سعيد حوى ـ رحمه الله وعفا عنه ـ ص (١٠٥).
(٣) «المرأة ومكانتها في الإسلام» لأحمد عبد العزيز الحصين ص (٢٢٥)، وانظر: «محاضرات الجامعة الإسلامية» الموسم الثقافي (١٣٩٥ ـ ١٣٩٦هـ) ص (١٢٦).
(٤) «أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي» هامش ص (٨٩)، وجاء فيه أيضًا: (وفي مقال شيخ الأزهر ذكر أن أحد التونسيين ضبط متلبسًا بجريمة الزواج بثانية، ولم يخلي سبيله إلا بعد أن قرر أن هذه الثانية خليلة وليست زوجته) اهـ. ﴿أَلا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾.

١٠ - في الصومال:

(شددت حكومة «سياد بري» حملتها ضد الإسلام في الصومال، وقد طردت مؤخراً كل طالبة ترتدى الزي الإسلامي من المدارس، كما ألغت تفسير القرآن الكريم من المناهج، وتقوم بطرد الطلاب الذين يقبض عليهم وهم يؤدون الصلاة أو يقرؤون القرآن الكريم من المدارس)[١].

١١ - في ماليزيا:

جاء في (أخبار اليوم) تاريخ السبت (٧محرم ١٤٠٦هـ) الموافق (٢١/ ٩/ ١٩٨٥م): (أصدرت الجامعة التكنولوجية في ماليزيا قراراً بايقاف تسع طالبات عن الدراسة بحجة ارتدائهن الحجاب الذي تمنعه وزارة التعليم الماليزية، وذكر مسئول كبير في الجامعة أن قرار إيقاف الطالبات سيظل ساريا مادام هؤلاء الطالبات يرتدين الحجاب) اهـ.

١٢ . «الغزالي حرب» وحربه ضد الحجاب:

«الغزالي حرب» مفتش أول اللغة العربية بشمال القاهرة إنسان أقلقه كثيراً مظهر الحجاب الإسلامي وشيوعه وسط الفتيات يومًا بعد يوم، فَشَهَر قلمَه ليدلي بدلوه مع إخوانه من دعاة السفور، فنشر في الأهرم أكثر من مقال يهاجم فيه الحجاب، ويحرض فيه «الأكابر» على تشريع جديد يصفه بأنه (قرار حاسم يحقق التوازن والاعتدال في أزياء الطالبات والمدرسات بين التفريط والإفراط، وبين الانغلاق والانضباط).

---

(١) المرأة ومكانتها في الإسلام) للحصين ص (٦٢).

ويفتتح إحدى مقالاته بقوله: (منذ بضعة أيام اتصل بي تليفونيًا الشيخ الدكتور/ عبد المنعم النمر ليحدثني عن بعض الطالبات في إحدى المدارس الأجنبية الثانوية، ممن يحرصن على ارتداء ما يسمينه «الزي الإسلامي» أو «الزي الشرعي»، وقد اتفقنا في هذا الحوار التليفوني على أن تغطية الوجه بالنقاب، أو البرقع للطالبات، تطرف لا يقره الشرع الإسلامي، ولا ترتاح إليه اللوائح والتعليمات المدرسية أو الجامعية، وماهو إلا شذوذ مظهري مريب).

ثم يقول: (فهذا الزي المبرقع أو المنقب ليس إلا زيًا من صميم الأزياء الجاهلية البائدة، التي عفى عليها الزمان، ولم يعد لها اليوم مكان إلا في بعض البلاد المتخلفة أو النامية، ولن يبقى فيها طويلاً أمام التطور الوثاب، الذي يؤكد ما قاله داعية تحرير المرأة الأول في مصر والشرق العربي «قاسم أمين» من أنَّ هذا الزي الشاذ يمثل دوراً من الأدوار التاريخية لحياة المرأة في العالم، ومن العبث الذي لا طائل من ورائه أن تتشبث بعض المدرسات أو الطالبات متمسحات في ذلك بالإسلام الذي يدعو المرأة ـ ولاشك ـ إلى الاحتشام المنضبط الذي يقره العرف القويم والذوق السليم لا إلى الاحتشام «المنغلق» المثير للشبهات، ولاسيما شبهة محاولة «إخفاء الشخصية»).

ثم يستطرد قائلاً: (ما أروع الحديث النبوي الشريف القائل: **«ومن اتقى الشبهات فقد استبرأ ـ طلب البراءة والسلامة ـ لدينه وعرضه»**، وخاصة في ظروفنا الحاضرة التي تمس فيها الحاجة دائمًا إلى التحقق من شخصية كل طالب وطالبة، حرصًا على استتباب الأمن والنظام، وسيادة الأمن العام، وحرام ـ والله ـ أن نضيع مثقال ذرة من الوقت الغالي الثمين في شغل الناس بلابسات البراقع والجدل حولهن باسم الإسلام، الذي يقول بلسان الرسول ﷺ: **«ماغضب الله**

على قوم إلا ابتلاهم بالجدل، وصرفهم عن العمل»[1] . . . حرام والله ـ أن تشغلنا هذه «الظاهرة المَرَضِيَّةُ» عن النصح لكريماتنا وأخواتنا المتنقبات، أن يكن في أزيائهن منضبطات متفتحات، لا منغلقات أو مبرقعات، وأن يذكرن ـ والذكرى تنفع المؤمنين والمؤمنات ـ أنه عندما نهض (قاسم أمين) بدعوته المتحررة التي باركها باسم الإسلام أستاذنا الإمام (محمد عبده)، حاربه الجامدون والمتنطعون داعين النساء إلى ارتداء النقاب والبرقع اتقاءً للفتنة، فانتهزت ملاهي أوربا هذه الفرصة، وأخذت تعرض رقصة أسمتها «رقصة برقع الإسلام» وهكذا التقى جد الرجعيين، وهزل العابثين في اتهام الإسلام بأنه دين البراقع).

ثم يذكر معنى الحجاب في الإسلام في نظره فيقول: (وما هو إلا دين الاحتشام المعتدل المشرق بأنوار العفة والفضيلة والحياء، وفي ضوئها وهداها التقى الجنسان على سواء معتصمين بحجاب الوازع الخلقي والضمير الحي) إلى أن يبتهل داعيًا المولى عز وجل في نهاية مقاله قائلاً: (واللهم أبعد عن مدارسنا ومعاهدنا وجامعتنا وطرقاتنا وسائر مجالاتنا شبح الجمود والممات، وشبح الظواهر المرضية المثيرة للفتن والخلافات والانقسامات)[2] انتهى.

(١) روى الترمذي وابن ماجه والإمام أحمد في مسنده عن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ماضل قوم بعد هدًى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل»، ثم تلا: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾، (الزخرف:٥٨)، وقال الترمذي: (حسن صحيح)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي «جامع الأصول ٧٤٩/٢».

ـ والجدال والمراء: المخاصمة والمحاجَّة، وطلب المغالبة، ولاشك أن الحديث نفسه يدين الكاتب وهو حجة عليه، لعدوانه على أهل الحق، ومجادلته إياهم بالباطل كما سترى، والحمد لله الذي أنطقه بالحجة لنا.

(٢) الأهرام ـ الاثنين ٢ فبراير ١٩٨١م مقال بعنوان: (أزياء الطالبات بين الانضباط والانغلاق).

ولا يقل عنه تحاملاً الصحافية (منى رمضان) التي كتبت مقالاً في مجلة «أكتوبر» تحت عنوان «طبيبات ولكن محجبات» تبدؤها بقولها: (عاد الحجاب مرة أخرى كظاهرة على وجوه الفتيات والسيدات في مصر، وهذه ليست آخر صيحة في عالم الموضة كما قد يتبادر إلى الذهن، ولكنه نوع من الحشمة وإحياء التقاليد[1] الإسلامية التي تطلب من النساء أن «يدنين عليهن من جلابيبهن»)،

---

(١) ينبغي التحفظ من مثل هذه العبارات، فليس الإسلام «تقاليد»، وماعرفناه إلا مناراً وتعاليم، وشرائع ومعالم، وردت في أكثر من حديث: منها قول رسول الله ﷺ: **«ذاك جبريل أتاكم يعلمكم معالم** - أي دلائل ومسائل - **دينكم»** رواه الإمام أحمد وابن ماجه عن عمر رضي الله عنه بهذا اللفظ، ومنها قوله ﷺ: **«إن للإسلام صُوىً كمنار الطريق، منها أن تؤمن بالله ولا تشرك به شيئًا، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تسلم على أهلك إذا دخلت عليهم، وأن تسلم على القوم إذا مررت بهم، فمن ترك من ذلك شيئًا، فقد ترك سهمًا من الإسلام، ومن تركهن كلهن، فقد ولّى الإسلامَ ظهرَه»** أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في «كتاب الإيمان» وغيره انظر «سلسلة الأحاديث الصحيحة» حديث رقم (٣٣٣) ومعنى (صُوى) جمع صوة: أعلام من حجارة منصوبة في الفيافي والمفازة المجهولة، يستدل بها على الطريق وعلى طرفيها، أراد أن للإسلام طرائق وأعلامًا يهتدي بها، كذا في «لسان العرب».

- عن أبي عمرو بن العلاء، وعن عبد الله بن بُسرْ المازني رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت، وأنا كَبِرْتُ، فأخبرني بشيء أتشبث به، ولا تكثر عَلَيَّ فأنسى، قال: **«لايزال لسانك رطباً بذكر الله تعالى»** رواه الترمذي والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي.

- وفي بعض الآثار: (أيها الناس إن لكم معالم فانتهوا إلى معالكم، وإن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم) . . .

فكم تَفِرُّ أعين المتغربين والمتفرنجين، والجامحين الخارجين عن ربقة الإسلام، بكلمة «تقاليد إسلامية»؟! إنهم بذلك يحوِّلون شرع الله ووحيه إلى أعراف وتقاليد، تواضع الناس - في زمن من الأزمان - على احترامها، وبناء على ذلك فما يصلح لجيل لا يصلح لآخر وما يناسب مجتمعًا لا يناسب المجتمعات الأخرى، وما يتفق مع زمن فلا شأن له بباقي الأزمان!

- فالهدف إذن من التعبير عن الأحكام الشرعية بـ (التقاليد) واضح، وهو جعلها عرضه للتغيير والتبديل بحجة أن «التقاليد» عصر الصحراء لن تناسب عصر الفضاء ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ (الكهف: ٥)!.

- انظر: «مهلاً يا صاحبة القوارير» ص(١٠ - ١١).

وتحت صورة التقطت لمحجبتين تكتب قائلة: (النقاب الذي ترتديه فتاة الجامعة يقربها إلى الرهبانية، ولا رهبنة في الإسلام)، لكنها حرصت على أن تنشر صور إحداها على غلاف المجلة لفتاتين سافرتين ترتديان «الحجاب النِّصفي» أو «الحجاب العصري» الضيق المزيَّن، والثانية لثلاث فتيات سافرات، ولكن في عرفهن «محجبات» يرتدين ثيابًا لايقرهن عليها مسلم عالم، وقد علقت مسرورة بثيابهن قائلة: (الحشمة الغير مبالغ فيها مطلوبة داخل الجامعات المصرية بدلاً من التقليعات الدخيلة علينا)، والثانية لفتاة متزينة بالحجاب العصري الفتان، وقد علقت الصحافية تحتها: (هكذا تكون الفتاة الجامعية: علم وإيمان).

تقول الكاتبة الحائرة القلقة: (والحشمة هنا نابعة من داخل المرأة، وعلى أساسها فَصَّلت هذه الثياب، وفضلت أن تخرج بها إلى الشارع وإلى الجامعة .. وقد تكون هذه الظاهرة عودة إلى «عصر الحريم»[1] لا ينقصها إلا «قاسم أمين» جديد ليطلق صرخته مرة أخرى .. وربما تكون نوعًا من الموضة تأخذ مداها ثم

---

(١) الصحافية هنا تنسج على منوال إخوانها في الضلال حيث أخذوا يسخرون ويتفكهون بعصر «الحريم»، ثم ربطوا الدعوة إلى الحجاب بعصر الحريم تنفيراً منه تمامًا كما يربط العلمانيون الملاحدة الدين بالرجعية

ـ ولكن ما (الحريم)؟ جاء في مجلة (الأسبوع العربي) اللبنانية العدد (١٤١٥٣ أيار): «كانت كلمة (حريم) تعني منذ الأزمان البعيدة الحرم المقدس أو المعبد المحرم الدخول إليه، وقد أطلق هذا الاسم على القسم الخاص بالعائلة أي بالنساء والأطفال، والذي كان محرمًا على الغرباء ولُوجه، بينما سمح لهم بالدخول إلى باقي أقسام المنزل، ولم يكن النساء ليبرحن (الحريم) إلا لزيارة صديقاتهن أو لحضور الاحتفالات العائلية أو الدينية، فقد كان للنساء إذن عالمهن الخاص المقتصر عليهن فقط، إذ حرم عليهن تمامًا الاختلاط بالرجال أو استقبالهم أو التحدث إليهم» اهـ.

ـ وجاء في جريدة (الأخبار) على لسان باحثة أمريكية مشهورة تدعى الدكتورة (إيدالين) ما نصه: «إن تدهور الأخلاق في أمريكا راجع إلى ترك المرأة بيتها واشتغالها بالحياة العامة، وإن عودة المرأة إلى (نظام الحريم) هي الطريقة الوحيدة لإنقاذ الجيل الجديد من التدهور الخلقي الذي يسير فيه» اهـ من (الحركات النسائية في الشرق ـ ص٥٣).

تتلاشى بعد فترة طالت أو قصرت، وقد تكون حنينًا إلى العودة إلى رحاب الروحانيات بعد أن طغى سلطان المادة على نواحٍ كثيرة قي حياتنا، إلى آخر هذه التساؤلات التي تتبادر إلى أذهاننا جميعًا) ثم تعبر عن حسرتها وقلقها قائلة: (إن هذه الظاهرة انتشرت وبصورة أكثر وأوسع داخل كليات الطب في الجامعات الثلاث).

ثم تنقل الكاتبة في حوارها كلمة «د. يوسف عبد الرحمن» رئيس قسم الفسيولوجيا بطب القاهرة: «باعتباري رجلاً مسلمًا أفضل الزي الإسلامي فهو «مستحب» لأنه حشمة ويخفي عورة المرأة، وهذا الزي كما أعرف لا يعوق المرأة عن العمل، أما النقاب الذي ظهر حاليًا فهو غير مستحب،ولا أفضله أبدًا فهو يقترب بالمرأة من الرهبانية، ولا رهبانية في الإسلام»، ثم يقول: (ومادامت المرأة قد خرجت إلى الشارع والعمل فلابد أن يتعرف عليها المُدَرِّسُ، وكمساري الأتوبيس، وكل من يتعامل معها، أما النقاب فهذا غريب وغير عملي في هذا العصر، وأنا أعلم أن النقاب كان موجودًا في العصور المظلمة فقط) انتهى كلامه.

وهذه (مها عثمان) تكتب في (آخر ساعة) مقالاً بعنوان (ظاهرة الحجاب: لماذا؟) وتقول: «ظاهرة الحجاب من الظواهر اللافتة للنظر الآن، ليس فقط في الشارع المصري، وإنما في الدواوين والمصالح الحكومية والكثير من مواقع العمل، والظاهرة تتنامى، ويأخذ معها الحجاب أشكالاً متعددة.

والأسئلة التي تثيرها تلك الظاهرة عديدة، وفي مقدمتها: لماذا الحجاب؟ ماذا وراء تلك الظاهرة؟ ثم ما هو الفرق بين الحجاب والنقاب؟».

وتحـاول الكاتبة الإيحـاء بإن الحـجاب تقليـد مملوكي أو تركي، ثم تقـول: (وظلت المرأة تحرص على وضع النقاب عـلى فمها عند ظهورها في المجتـمعات الراقية، واستـمر حجاب المرأة بهذه الطريقة حتى دعـا «قاسم أمين» إلى السفور عام «١٩١٢»[١]، والتحرر من قيود هذه الأغطية وغيرها).

وتتسـلل روح التغريب وكـراهية الحـضارة الإسـلامـيـة بين السطور فتـقول الكاتبة: (ويمكننا فهم دعوة «قاسم أمين» للسفور وإلغاء الحجاب على أنها دعوة للإنسان للأخذ بقيم الحضارة الغربيـة على حساب حضارة أخرى، وهي الحضارة «الأخرى» التي تمثلها الدولة العـثمانية إن لم تكن الحضارة الإسـلامية؟ ثم تمضي الكاتبة قـائلة: (وقد نجحت دعوة «قـاسم أمين» حيث كان الجـو العام مهيـئًا.. وأصبح هذا النمط هو السائد في التعليم والملبس والمسكن و«القانون» و«السياسة» والفلسفة، لكن إذا كان هذا هـو ما حدث في فترة تاريخية مـعينة فما هو تحليل «عودة الحجاب» مرة أخرى؟).

١٣ - حسين احمد امين:

إنه المدعُّو «حسـين أحمد أمين»[٢]، الذي فتـحت له الصحافـة أبوابها على مصـراعيها، فـصال وجال داعيًـا إلى البهتان العظيم، والعـدول عن صراط الله المستـقيم، ،مناقضة مـا جاء به رسول الله ﷺ، وصَدَحَ به كـتاب الله المبين،

---

(١) كذا.

(٢) من مـقاله المنـشور بمجلة (روز اليـوسف) ـ الاثنين ١٧ يونيـة ١٩٨٥ ـ العـدد (٢٩٧٥) ـ بعنوان: (المفكر الإسلامي «حسـين أمين» يتحدى: ليس في القـرآن آية واحدة تفرض الحـجاب)، وفي نفس المقالة استهـزأ من حكم الإسلام بأن شهادة الرجل تعادل شهـادة امرأتين قائلاً: «هل يمكن أن تكون شهادة بواب عمارتنا تعادل شهادة «أمينة السعـيد» «وسهير القلماوى» معًا! هل نستطيع الآن أن نقول هذا..؟!) اهـ ص (٣٥).

جـاء هذا الغـبي الجاهل المكـابر، فأعـرض عن الحق الصـريح الظاهر، وكـتب المقالات المطولة التي حشاها من الكذبِ والافتراء، والظلمِ والعدوان، وشتْمِ أهل الحق، وقَذْفِ المحصنات الغافلات المؤمنات، والصدِّ عن سبيل الله عز وجل.

ويبدو أن الدور الذي شاء له أسـياده ووقع اختيارهـم عليه لأجل إنجازه هو «محاربـة الحجاب». . ذلك الحجـاب الذي أشعلت عودتُه نارَ الحقـد والغيظ في قلبه، فأنشأ يسوِّغ محاربته إياه قائلاً: «رأيت ظاهرة تنتـشر في مجتمعاتنا انتشار النار في الهـشيم، هي ظـاهرة الحجـاب، وسمـعت أنصـارها يربطون بينه وبين الإسلام، فأحبـبت أن أتحقق بنفسي مما إذا كان القرآن قـد أمر به، وقد توصلت إلى أن حجاب المرأة ليس من الإسلام» اهـ.

وقال في موضـع آخـر[(١)]:

«ليس للحجـاب أية علاقة بـالإسلام»، ثم يزعم أن الحجـاب إنما عرف عند الفرس، ويـقول: «ومن المعروف أن أول مـفسرين للقـرآن الكريم على الإطلاق كانوا من الفرس[(٢)]، ومن الطبيعي أن يتأثر المفسرون بالتقاليد والقيم التي نشأوا عليها.

لقد درست الآيات القـرآنية التى ورد ذكـر الحجاب بهـا، ووجدت أنه ليس هناك آية واحدة تفرض الحجاب على المسلمات» اهـ.

---

(١) وانظر: «قصة الهجوم على السنة» للدكـتور علي السالوس ـ حفظه الله ـ ص (٥٤) لتقف على بعض افتراءاته على الإسلام.

(٢) راجع «التفسـير والمفسرون» للدكتـور محمد حسين الذهبي ـ رحـمه الله ـ (١/ ٣٢-١٤٢) حتى تقف على فساد هذا القول.

«إنني أعتمد على أمهات الكتب، وأدرس ما اتفق عليه العلماء والأئمة الأربعة وغيرهم، غير أني لا أعتبر نفسي ملزمًا إلا بما انتهى إليه تفكيري. . . ، ولا يضيرنى أن أكون أول من قال بهذا الرأى أو ذاك دون أن أستند إلى مرجع»[(١)].

والفقهاء كلهم - في نظره - (لا قولهم حجة، ولا من الواجب الأخذ به)، بل إنه يرد على مفتي الجمهورية الشيخ عبد اللطيف حمزة قائلاً: «نعم يا سيدي المفتي، أنا زعيم لك بأني أهل لأن أنافس الأئمة المجتهدين، وأن أدلي بدلوي كما أدلوا بدلائهم»[(٢)] اهـ.

فانظروا أيها المسلمون ما يقول ذلك (الإمام المجدد)، والعبقري الفذ، والمجتهد المطلق! الذي تفتق عنه القرن الرابع عشر الهجري، وحَلَّق في آفاق الاجتهاد حتى إنه ليشهد لنفسه بملء فمه أنه أهل لأن (ينافس) أبا حنيفة، ومالكًا، والشافعي، وأحمد، وسفيان، وسائر الأئمة، وأن تتمخض عبقريته عن آراء واكتشافات كان هؤلاء جميعًا في غفلة عنها، بل مخطئين فيها، ومن أعظم هذه «الاكتشافات» أن حجاب المرأة ليس من الإسلام!!

١٤- أحد الكُتَّاب في الدول العربية:

ويقول الدكتور محمد عمارة تحت عنوان (الحجاب بين فقه العفة وفقه المراحيض): (مع الاتجاه الغربى إلى «عولمة» منظومة القيم المنحلة، التى تقنن لزواج الشواذ، والإباحية الجنسية واعتبار النشاط الجنسى حقا من حقوق الجسد، بصرف النظر عن الحلال والحرام الدينى، وإباحة المعاشرات الجنسية للمراهقين والمراهقات، مع إعطاء الحق فى تنظيم النسل والاجهاض للجميع . . مع ظهور

---

(١)، (٢) «جريدة الأهالي» الماركسية (تاريخ ٢٣/ ١/ ٨٥) ص (١٠).

هذا الاتجاه الغربى، ومحاولة «عولمته» عبر وثائق يسمونها «دولية» ظهر فى بعض البلاد العربية «كتَّاب» يؤلفون «فقهًا» ينسبونه إلى الإسلام، كى يخدم هذا الانحلال.

ووجدنا واحداً من هؤلاء «الكتاب» ـ فى إحدى البلاد العربية ـ يكتب: «إن الخمر فى القرآن مأمور باجتنابها وليست محرمة»!!.. وهو يكرر هذا «الكلام» فى أربعة كتب.. وينسى أو يتناسى، أن أمر القرآن الكريم باجتناب الخمر إنما يعنى التحريم ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (سورة المائدة: ٩٠)، خصوصًا وهى مقترنة بالميسر، والأحجار التى يعظمها الوثنيون، وموصوفة بأنها رجس، ومن عمل الشيطان.. فهل ـ مع كل ذلك ـ يمكن لعاقل أن يقول إن الأمر الإلهى بالاجتناب هنا لا يعنى التحريم؟!.. وهل عبادة الأوثان ليست محرمة؟.. وكذلك قول الزور؟.. وعبادة الطواغيت؟.. وكلها قد أمر القران باجتنابها ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ (سورة الحج: ٣٠)، ﴿وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (سورة النحل: ٣٥)، فهل الأمر بالاجتناب لا يفيد التحريم لعبادة الأوثان والطواغيت، ولقول الزور، والخمر والميسر والأنصاب والأزلام، وسائر أعمال الشيطان؟!.. أم أن هذا «الفقه العجيب» قد صُنِعَ خصيصًا لفتح الباب لعولمة الانحلال؟.

ولا يكتفي هذا «الفقه ـ المنحل بنفى تحريم الخمر.. وإنما يذهب إلى فتح الأبواب للشذوذ الجنسي، وبالقول: «إن اللواط مجرد فعل مستهجن لم ينص القرآن ولا نصت السنة على عقوبة له»!!..وهو بذلك يكذب على سنة رسول الله ﷺ، ويتجاهل الحديث الذى رواه ابن عباس رضي الله عنهما والذى قال فيه الرسول: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوه» (رواه مسلم والنسائي والترمذي وابن ماجه ومالك والإمام أحمد).

ولا يكتفي «فقه عولمة القيم الغربية المنحلة» بتحليل الخمر، ونفي العقوبة الدينية عن اللواط.. وإنما يذهب إلى جعل التشريع القرآني والنبوي لحجاب النساء وستر العورات تشريعًا مؤقتًا، خاصًا بالمجتمع النبوي، وليس تشريعًا محكمًا ودائمًا ولازمًا.. فيقول: إن آية ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (سورة الأحزاب:٥٩)، كانت علة الحجاب فيها تمييز النساء الحرائر عن الإماء أثناء خروج النساء للتبرز خارج البيوت، لعدم وجود المراحيض فى البيوت يومئذ.. وبما أن مجتمعاتنا لم تعد فيها جواري تتميز عنهن الحرائر، وأصبح فى البيوت مراحيض، فلا مبرر للحجاب فى مجتمعاتنا المعاصرة!!

▪ وإذا كان من نكد الدنيا على العالم الإسلامى أن يضطر إلى مناقشة مثل هذا «الكلام» فإننا نتحمل هذا «النكد» ونقول:

١ - إن نص الآية القرآنية يعلل فريضة الحجاب والحشمة بأنها المانعة من وقوع الأذى بالنساء عندما يراهن غير المحارم، وهذه علة لازمة ودائمة.. والإحصاءات فى جرائم الاغتصاب تقول: إن التبرج من الأسباب المغرية والمؤدية إلى الاغتصاب.. كما أن هذه الإحصاءات تقول: إن أعلى نسبة لاغتصاب النساء إنما تتم فى المجتمعات الغربية التي يشيع فيها التبرج.. فلا يزال وسيظل الحجاب والحشمة من موانع الأذى الذى يلحقه التبرج بالنساء.. ولا علاقة للحجاب بوجود المراحيض خارج البيوت أو فى داخلها.. فالتشريع خاص بالستر للزينة خارج المنزل، سواء أكان الخروج للمرحاض أم للمسجد أم إلى السوق.. اللهم إلا إذا كنا بإزاء «فقه للمرحاض» دون سواه!.

٢ ـ ثم إن الإسلام شرع الحجاب حتى داخل المنزل، إذا حضر مجلس النساء أو رآهن أحد من غير المحارم الذين حددهم القرآن على سبيل الحصر والإحصاء ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ ((سورة النور: ٣٠-٣١)). فالتشريع بوجود ستر الزينة، والخمار والحشمة، فريضة قرآنية؛ حتى داخل البيوت.. ولا علاقة له بتميز الحرائر عن الإماء، ولا «بفقه المراحيض».

ويؤكد هذه الحقيقة ـ حقيقة وجوب الحجاب حتى داخل البيوت إذا حضر غير المحارم ـ ما جاء فى السنة النبوية عن المرأة الأنصارية التى ذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تقول: يا رسول الله، إنى أكون فى بيتى على حال لا أحب أن يرانى عليه أحد، وإنه لا يزال يدخل عليَّ رجلٌ من أهلي وأنا على تلك الحال، فكيف أصنع.. فنزلت الآية (٢٧) من سورة النور ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ .. فالتشريع هو للحجاب وستر عورات النساء، وتحقيق خصوصية الأنثى فى جسدها وزينتها، والابتعاد بها عن «المشاعية الحيوانية»، حتى فى داخل البيوت، ومع الأهل من غير المحارم الذين حصرهم وأحصاهم القرآن

الكريم . . ولا علاقة «للمراحيض» بعلة هذا التشريع القرآنى، الذى بينته السنة النبوية، ومارسته الأمة على امتداد تاريخها، ولا تزال تمارسه . . بل والذى تقبل عليه الأوربيات والأمريكيات اللائي يكتشفن فيه حريتهن وكرامتهن عندما يتعرفن على شريعة الإسلام.

فنحن ـ وفى الإسلام خاصة ـ أمام نظام إسلامى، وتشريع إلهي مفصل، فى العفة وعلاقتها بستر العورات عن غير المحارم . . وهو تشريع عام، في كل مكان توجد فيه المرأة ـ مطلق المرأة ـ مع غير محرم . . ولم تعرف حياتنا الفكرية ربط الحجاب والحشمة بوجود المراحيض خارج البيوت، إلا عند تحليل الخمر . . واللواط.

إنه فقه عولمة الانحلال الغربي، وليس فقه الإسلام والمسلمين)[1].

---

(١) (جريدة آفاق عربية) باختصار يسير (١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م).

الشبهة العاشرة

الحديث عن الحجاب هو حديث عن قشور الإسلام، وهناك ما هو أهم من الحجاب، وليس الإسلام كله الحجاب. والعبرة بالكثرة، فأكثر الفتيات والنساء في المجتمع متبرجات، فهل معنى ذلك أن كل هؤلاء ضالات؟!

الرد على هذه الشبهة

أصحاب هذه الشبهة ـ للأسف ـ لم يفهموا حقيقة الإسلام، وهم إمَّا مقلدين لمثلهم من الجهلة، أو اتبعوا قول من ينسب إلى العلم بهتانًا وزورًا، أو كان حصاد علمهم بالذين وريقات قرأوها لمن يحتاج هو نفسه إلى فهم الإسلام فهمًا صحيحًا.

وظهر ذلك جليًا عندما اهتموا ـ بزعمهم ـ بالباطن، وأهملوا بعض الشعائر الظاهرة، التى سموها شكليات أو قشوراً كمسألة الحجاب، التي بين أيدينا.

(وتقسيم الدين إلى قشر ولب، تقسيم غير مستساغ، بل هو محدث، ودخيل على الفهم الصحيح للكتاب والسُّنَّة، ولم يعرفه سلفنا الصالح الذين كل الخير والنجاة في اتباعهم واقتفاء آثارهم ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾ (سورة النجم: ٢٣)، وهذه القسمة إلى قشر ولباب. . ، وظاهر وباطن، يتبعها المناداة بإهمال الظاهر احتجاجًا بصلاح الباطن ـ تلقَى رواجًا عند المستهترين المخدوعين)[١].

---

(١) «تبصر أولي الألباب ببدعة تقسيم الدين إلى قشر ولباب» للشيخ محمد إسماعيل ـ حفظه الله ـ .

لذا فإننا لا نعجب ـ نظرًا لهذا الفهم المغلوط ـ من اعتقاد البعض أن ارتداء المسلمة للحجاب الشرعي هو أمر شكلي ليس له تأثير، ولا يقارن بما وقر في القلب.

ألم يقرأ هؤلاء قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾ (سورة البقرة:٢٠٨)، أي في جميع أحكام الشريعة لا فرق فيها بين حكم وآخر.

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «يقول تعالى آمرًا عباده المؤمنين به المصدقين برسوله أن يأخذوا بجميع عرى الإسلام وشرائعه، والعمل بجميع أوامره، وترك جميع زواجره ما استطاعوا من ذلك»[١].

ثم نقل عن ابن عباس وغيره أنهم قالوا: ﴿ ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾ يعني الإسلام، ﴿ كَافَّةً ﴾ يعني جميعًا، وقال مجاهد: أي اعملوا بجميع الأعمال ووجوه البر.

وقال الآلوسي ـ رحمه الله ـ: «والمعنى ادخلوا في الإسلام بكليتكم، ولا تدعوا شيئًا من ظاهركم وباطنكم إلا والإسلام يستوعبه بحيث لا يبقى مكان لغيره.

وقال أيضًا: وقيل الخطاب للمسلمين الخُلص، والمراد من ﴿ السِّلْمِ ﴾ شعب الإسلام، و﴿ كَافَّةً ﴾ حالة منه، والمعنى: ﴿ ادْخُلُوا ﴾ أيها المسلمون المؤمنون بمحمد ﷺ في شعب الإيمان كلها، ولا تخلوا بشيءٍ من أحكامه» اهـ[٢].

يُعلم مما سبق أن الحجاب الشرعي مادام حكمًا من أحكام الإسلام، فلا يسع المسلمة إلا أن تلتزم به، ولا يسع المسلم إلا أن يُلزم به أهله وبناته.

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (١/ ٣٦١).

(٢) «روح المعاني» (٢/ ٩٧).

وليس معنى كلامنا هذا هو الاهتمام بالظاهر دون الباطن، وإنما طريق الهدى هوإصلاح الظاهر والباطن معًا، نصلح ظاهرنا باتباع السُّنَّة، ونصلح باطننا بدوام مراقبة الله تعالى والخوف منه.

(فصل)

أما الاعتبـار بالكثرة فهو مصيبـة خطيرة، لو اعتمدنا عليها لهلكنا جـميعًا. فهل لو كانت الأكثرية تسير في طريق الفاحـشة نسير معها، لأنه لا يُعقل أنَّ كل هؤلاء ضالون؟!!

وهل الحجاب الذى فرضه الله تعالى على النساء يعتبر لاغيًا ومرفوضًا، لأن أكثر النساء متبرجـات، فاسقـات، متمـردات على أوامر الدين؟!!

ثم لنتـدبر سويًا آيات الكثـرة الواردة فى القـرآن، وأيات القلة حتى تتـضح الصورة الصحيحة أمام أعيننا.

فعن الكثرة:

قال تعالى: ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (سورة يوسف: ٢١).

قال تعالى: ﴿ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُورًا ﴾ (سورة الإسراء: ٨٩).

قال تعالى: ﴿ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ ﴾ (سورة يوسف: ٣٨).

قال تعالى: ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة يوسف: ١٠٣).

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾ (سورةالزخرف: ٧٨).

قال تعالى: ﴿ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ ﴾ (سورة المائدة: ١٠٣).

قال تعالى: ﴿ مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ (سورةالأنعام ١١١).

وعن القلة:

قال تعالى مخبراً عن نوح: ﴿ وما آمن معه إلا قليل ﴾ (سورة هود: ٤٠).

وقال تعالى أيضًا: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ (سورة سبأ: ١٣).

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴾ (سورة ص: ٢٤).

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ (سورة النساء: ٨٣).

وقال تعالى أيضًا: ﴿ وَلا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (سورة الأعراف: ٣).

وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ (سورة الأعراف: ١٠).

يظهر لنا بعد سرد بعض آيات الكثرة فى القرآن، أن الفئة الكثيرة أو الغالبة هي الفئة غير المؤمنة، غير العاقلة، غير الشاكرة، غير الذاكرة، غير العالمة، الكافرة الجاهلة، أما الفئة القلية فهى الفئة المؤمنة، الذاكرة، الشاكرة، العاقلة، التى تنجو من اتباع الشيطان.

إذن الاعتماد على الكثرة اعتماد باطل وقول ساذج.

فضلاً إننا فى زمن الغربة، غربة الإسلام، التي يقل فيها المتمسك بدينه، القابض عليه، ويكثر فيها المخالف لتعاليم ربه سبحانه وتعالى، قال ﷺ: «بدأ الإسلام غريباً، وسيعود كما بدأ، فطوبى للغرباء»[1].

---

(١) رواه مسلم، رقم (١٤٥) فى كتاب الإيمان من صحيحه.

وعن عبد الله بن عـمرو بن العاص رضى الله عنهمـا أن النبى ﷺ قال: «**طوبى للغرباء**»، قالوا: يا رسول الله من هم؟ قال: «**أناس صالحون فى أناس سوء كثير من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم**»[(١)]، وفى رواية: «**من يبغضهم أكثر ممن يحبهم**».

لذا فلا تغتر المسلمة بما عليه الكـثير من الناس من البعد عن دين الله تعالى، وكثرة مـخالفتهم لأوامره سبـحانه وتعالي، ولتجعل الميـزان عندها هو كتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، فبهما تعـرف الحق من الباطل، وبهما سيظهر لها أهل الحق من أهل الباطل، وحينئذ ستعرف أي الطريقين تتبع، وأي الفريقين على الحق.

(١) رواه أحمد وغيره وهو صحيح (صحيح الجامع ـ ٩٣٢١).

(فصل) فضائل الحجاب وقبائح التبرج

(أ) فضائل الحجاب

الحجاب طاعة لله عزّ وجلّ وطاعة لرسول الله ﷺ[(١)]:

أوجب الله تعالى طاعته وطاعة رسولهﷺ فقال: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٣٦)، وقال عزّ وجلّ: ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (سورة النساء: ٦٥) .

وقد أمر الله سبحانه وتعالى النساء بالحجاب، فقال عزّ وجلّ: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ وقال سبحانه: ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ (سورة النور: ٣١)، وقال سبحانه: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ (سورة الأحزاب: ٣٣)، وقال تبارك وتعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ (سورة الأحزاب:٥٣)، وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ﴾ (سورة الأحزاب: ٥٩).

وقال رسول الله ﷺ: «المرأة عورة»[(٢)] يعني: أنه يجب سترها.

---

(١) لذا فإن المسلمة التي ترجو الله والدار الآخرة، وتلتزم بالحجاب الشرعي طاعةً لله، وطاعةً لرسوله ﷺ هي المسلمة الحقة والتي تنتسب للإسلام قولاً وعملاً.

(٢) رواه الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا بلفظ: «المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان» وصححه الألباني (صحيح الجامع - ٦٦٩٠).

الحجاب عفة[١]:

فقد جعل الله تعالى التزام الحجاب عنوان العفة، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ﴾ (سورة الأحزاب: ٥٩)، لتسترهن بأنهن عفائف مصونات ﴿فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ فلا يتعرض لهن الفُسَّاق بالأذى، وفى قوله سبحانه: ﴿فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ إشارة إلى أن فى معرفة محاسن المرأة إيذاءً لها، ولذويها بالفتنة والشر.

ورخَّص تبارك وتعالى للنساء العجائز اللائي لم يبق فيهن موضع فتنة في وضع الجلابيب، وكشف الوجه والكفين فقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (سورة النور: ٦٠)، ﴿جُنَاحٌ﴾ أي إثم ﴿أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾ ثم عقبه ببيان المستحب والأكمل فقال عز وجل: ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ﴾ باستبقاء الجلابيب ﴿خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ فوصف الحجاب بأنه عفة، وخير في حق العجائز فكيف بالشبات؟.

الحجاب طهارة[٢]:

قال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ (سورة الأحزاب: ٣٥)، فوصف الحجاب بأنه طهارة لقلوب المؤمنين والمؤمنات، لأن العين إذا لم تر لم يشته القلب، أما إذا رأت العين: فقد يشتهي

(١) فالمرأة العفيفة هى وحدها التى تحرص على ستر عورتها عن أعين الرجال، والعفة سلعة غالية فى هذا الزمان، قلَّ من تلتزم بها.

(٢) فالمرأة أو الفتاة الملتزمة بالحجاب الشرعى الصحيح، طاهرة الباطن والظاهر، قد طهَّرت قلبها من وساوس الشيطان، وطهرت جوارحها وجسدها من المعاصي والآثام فلا تتعرى أمام الناس.

القلب، وقد لا يشتهي، ومن هنا كان القلب عند عدم الرؤية أطهر، وعدم الفتنة حينئذ أظهر، لأن الحجاب يقطع أطماع مرضى القلوب ﴿فَلا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ (سورة الأحزاب: ٣٢).

الحجاب ستر:

قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى حَيِيٌّ ستِّير، يحب الحياء والستر»[(١)]، وقال ﷺ: «أيما امرأة نزعت ثيابها في غير بيتها، خَرَقَ الله عز وجل عنها ستْره»[(٢)]، والجزاء من جنس العمل[(٣)].

الحجاب تقوى:

قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ (سورة الأعراف: ٢٦)[(٤)].

الحجاب إيمان:

والله سبحانه وتعالى لم يخاطب بالحجاب إلا المؤمنات، فقد قال سبحانه: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ﴾ وقال عز وجل: ﴿وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، ولما دخل نسوة من بني تميم على أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها -، عليهن ثياب رقاق،

---

(١) حديث صحيح: رواه أبو داود والنسائي وغيرهما (صحيح الجامع - ١٧٥٦).

(٢) حديث صحيح: رواه أحمد وغيره (صحيح الجامع - ٦٧٠٨).

(٣) فمن أرادت لنفسها السلامة والنجاة في الآخرة، فلتستر جسدها عن أعين الرجال فيسترها الله تعالى في الدنيا والآخرة.

(٤) فالتقوى هي طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، والمرأة المحجبة هي التقية النقية، القانتة لله عز وجل المطيعة لرسوله ﷺ.

قالت : «إن كنتن مؤمنات فليس هذا بلباس المؤمنات، وإن كنتن غير مؤمنات، فتمتعن به»[١] .

الحجاب حياء :

وقد قال ﷺ : «**إن لكل دين خُلُقًا، وخُلُقُ الإسلام الحياء**»[٢] .

وقال ﷺ : «**الحياءُ من الإيمان، والإيمانُ فى الجنة**»[٣] ، وقال : «**الحياء والإيمان قُرِنا جميعًا، فإذا رُفِعَ أحدُهما رُفِعَ الآخر**»[٤] .

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت : «**كنت ادخل البيت الذي دُفِنَ فيه رسول الله ﷺ وأبى رضي الله عنه واضعةً ثوبي، وأقول: إنما هو زوجي وأبي، فلما دُفِنَ عمر رضي الله عنه والله ما دخلته إلا مشدودةً عليَّ ثيابي حياءً من عمر رضي الله عنه**»، ومن هنا فإن الحجاب يتناسب مع الحياء الذى جبُلت عليه المرأة[٥] .

---

(١) لذا فإن المسلمة المؤمنة هى التى تسارع إلى طاعة ربها، وهي بذلك تدلل على صحة إيمانها بالله، فلا يكون إيمانًا شكليا أو خاملاً، وإنما إيمان عملي حقيقي، يحث صاحبته على طاعة الله الواحد القهار.

(٢) رواه الإمام مالك، وحسنه الألباني (صحيح الجامع ـ ٢١٤٩).

(٣) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

(٤) رواه الحاكم فى المستدرك، وصححه الألباني (صحيح الجامع ـ ٣٢٠٠).

(٥) إذن فالمرأة الحيية هى التى تستحي من أي نظرة خائنة تطلع على عورتها فتسارع بسترها بالحجاب الشرعي، وأين نساء اليوم من عائشة رضي الله عنها التي استحيت من عمر رضي الله عنه بعد موته وهو لا يراها، ونرى اليوم الفتيات والنساء المتزوجات عاريات في الطرقات ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الحجاب غَيرَة:

يتناسب الحجاب أيضًا مع الغَيرة التي جبُل عليها الرجلُ السَّويُّ، الذي يأنف أن تمتد النظراتُ الخائنة إلى زوجته وبناته، وكم من حروب نشبت في الجاهلية والإسلام غيرةً على النساء، وحَميَّةً لحرمتهن، قال عليٌّ رضي الله عنه: «**بلغني ان نساءكم يزاحمن العُلوجَ ـ أي الرجال الكفار من العَجَم ـ في الأسواق، الا تَغارون؟! إنه لا خير فيمن لا يغَار**»(١).

(ب) قبائح التبرج

﴿ وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ﴾ (سورة الأعراف:١٤٦).

التبرج معصية لله ورسوله ﷺ:

ومن يعص الله ورسوله فإنه لا يَضُرُّ إلا نفسه، ولن يَضُرَّ الله شيئًا، قال رسول الله ﷺ: «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**»، فقالوا: يا رسول الله من يأبى؟! قال: «**من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى**»(٢).

(١) أين الرجال اليوم الذين يغارون على نسائهم؟!!
أصبحوا قلة، بل أصبح الواحد تسير بجانبه زوجته أو ابنته وهو فخورٌ بها، لأنها ترتدى أحدث الموديلات وأفضحها مبارزةً بذلك الله ورسوله ﷺ!!.

(٢) رواه البخاري.
ـ فكيف يطيب لمسلمة تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ أن تصر على معصية الله تعالى، ومعصية رسوله ﷺ بتبرجها وعدم التزامها بالحجاب الشرعى؟!!.

التبرج كبيرة مُهلِكة:

جاءت أُمَيْمَةُ بنت رُقَيْقَةَ إلى رسول الله تبايعه على الإسلام، فقال: «أبايعك على أن لا تشركي بالله، ولا تسرقي، ولا تزني، ولا تقتلي ولدك، ولا تأتي ببهتان تفترينه بين يديك ورجليك، ولا تَنُوحي، ولا تتبرجي تبرج الجاهلية الأولى»[١]، فقرن التبرج بأكبر الكبائر المهلكة.

التبرج يجلب اللعن والطرد من رحمة الله[٢]:

قال رسول الله ﷺ: «سيكون في آخر أمتي نساءٌ كاسيات عاريات، على رؤوسهن كأسْنِمَةِ البُخْت، العنوهن فإنهن ملعونات»[٣]، والبُخْتُ: نوع من الإبل.

التبرج من صفات أهل النار:

قال رسول الله ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرَهُما: قوم معهم سياطٌ كأذنابِ البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رؤوسُهن كأسنمةِ البُخْت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»[٤].

---

(١) رواه أحمد، وقال أحمد شاكر: إسنادة صحيح.

(٢) إذا كان اللعن هو الطرد من رحمة الله، وسبب هذا الطرد هو تبرج المرأة، فكيف يسوغ لعاقلة أن تصر على التبرج وهى تعلم بطردها من رحمة الله؟!!.

(٣) أخرجه الطبراني فى «المعجم الصغير»، وصححه الألبانى فى «الحجاب» ص (٥٦).

(٤) رواه مسلم.

فإذا كانت المتبرجة محرومة حتى من رائحة الجنة، فضلاً عن عدم دخولها، فكيف تهنأ بعيشٍ آخره النار؟!!.

التبرج سوادٌ وظلمة يوم القيامة[١]:

رُوِيَ عن النبى ﷺ أنه قال: «مَثَل الرافلة في الزينة في غير أهلها، كمثل ظُلمةِ يوم القيامة، لا نور لها»، يريد أن المتمايلة في مشيتها وهي تجر ثيابها تأتي يوم القيامة سوداءَ مظلمة كأنها متجسدة من ظُلمة، والحديث - وإن كان ضعيفًا - لكن معناه صحيح، وذلك لأن اللذة في المعصية عذاب، والراحة نَصَب، والشبع جوع، والبركة مَحْقٌ، والطِّيبَ نتن، والنورَ ظلمة، بعكس الطاعات فإن خُلُوف فم الصائم، ودَمَ الشهيد أطيب عند الله من ريح المسك.

التبرج نفاق[٢]:

فقد قال ﷺ: **«خير نساءكم الودود، الولود، المواتية، المواسية، إذا اتقين الله، وشر نسائكم المتبرجات المتخيِّلات، وهن المنافقات، لا يدخل الجنه منهن إلا مثلُ الغراب الأعصم»**، والغراب الأعصم: هو أحمر المنقار والرجلين، وهو كناية عن قلة من يدخل الجنة من النساء، لأن هذا الوصف في الغربان قليل.

التبرج تهتك وفضيحة:

قال رسول الله ﷺ: **«أيُّما امرأةً وضعت ثيابها فى غير بيت زوجها، فقد هتكتْ ستْرَ ما بينها وبين الله عزَّ وجل»**[٣].

---

(١) فمن أرادت لنفسها السلامة والنجاة من أهوال يوم القيامة، فالله الله يا نساء المسلمين.

(٢) إن كانت المرأة المتبرجة من المنافقات، ونحن نعلم أن المنافقين في الدرك الإسفل من النار، ألسن إذن فى حاجة إلى مراجعة صريحة مع النفس قبل فوات الأوان؟

(٣) فاي امرأة ترضى لنفسها التهتك والفضيحة، وأن تكون ممن يتبع الشيطان الذى يدعو إلى الفاحشة إلا امرأة في حاجة إلى أن تراجع إيمانها بالله.

التبرج فاحشة:

فإن المرأة عورة، وكشف العورة فاحشة ومقت، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ ﴾ (سورة الأعراف: ٢٨).

والشيطان هو الذى يأمر بهذه الفاحشة: ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ﴾ (سورة القرة: ٢٦٨).

والمتبرجة جرثومة خبيثة ضارة تنشر الفاحشة في جميع المجتمع الإسلامي. قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ (سورة النور: ١٩).

التبرج سنة إبليسية:

إن قصة آدم وحواء مع إبليس تكشف لنا مدى حرص عَدُو الله إبليس على كشف السوءات، وهتك الأستار، وإشاعة الفاحشة، وأن التهتك والتبرج هدف أساسي له، قال الله عز وجل: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا ﴾ (سورة الأعراف:٢٧).

فإبليس إذن هو مؤسس دعوة التبرج والتكشف[(١)]، وهو زعيم زعماء ما يسمى بتحرير المرأة، وهو إمام كُلِّ من أطاعه في معصية الرحمن، خاصة هؤلاء المتبرجات اللائي يؤذين المسلمين، ويَفْتِنَّ شبابهم، قال ﷺ: «ما تركتُ بعدى فتنةً هي أضرُّ على الرجال من النساء»[(٢)].

---

(١) فانظرى أيتها المسلمة بأي حزب تريدين اللحاق: بحزب الشيطان أم بحزب الرحمن؟!!.

(٢) رواه مسلم.

التبرج طريقة يهودية:

لليهود باع كبير في مجال تحطيم الأمم عن طريق فتنة المرأة، ولقد كان التبرج من أمضى أسلحة مؤسساتهم المنتشرة، وهم أصحاب خبرة قديمة في هذا المجال، حتى قال رسول الله ﷺ : **«فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء»**[(١)] .

وقد حكت كتبهم أن الله سبحانه سيعاقب بنات صهيونَ على تبرجهن، ففي الإصحاح الثالث من سفر أشعياء: (إن الله سيعاقب بنات صهيون على تبرجهن والمباهات برنين خلاخيلهن بأن ينزع عنهن زينةَ الخلاخيل والضفائر والأهلة والحلق والأساور والبراقع والعصائب).

ومع تَحذير رسول الله ﷺ من التشبه بالكفار، وسلوك سبلهم خاصة فى مجال المرأة إلا أن أغلب المسلمين خالفوا هذا التحذير، وتحققت نبوءة رسول الله ﷺ : **«لتتبعن سَنَنَ من كان قبلكم شبراً بشبر، وذراعًا بذراع، حتى لو دخلوا جُحْرَ ضَبٍّ لتبعتموهم»**، قيلَ: اليهود والنصارى؟ قال: **«فمن؟»**[(٢)] .

فما أشبه هؤلاء اللاتي أطعن اليهود والنصارى، وعَصَيْنَ الله ورسوله بهؤلاء اليهود المغضوب عليهم الذين قابلوا أمر الله بقولهم: **«سَمِعْنَا وعَصَيْنَا»**، وما أبعدهن عن سبيل المؤمنات اللاتي قلن حين سمعن أمر الله: **«سَمِعْنَا وأَطَعْنَا»**! .

قال تعالى: ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا** ﴾ (سورة النساء: ١١٥) .

---

(١)،(٢) رواهما مسلم.

التبرج جاهلية منتنة:

قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ (سورة الأحزاب: ٣٣).

وقد وصف النبي دعوى الجاهلية بأنها منتنة أي خبيثة، وأمرنا بنبذها، وقد جاء في صفته ﷺ في التوراة أنه: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ (سورة الأعراف: ١٥٧).

فدعوى الجاهلية شقيقة تبرج الجاهلية، كلاهما منتن خبيث، حَرَّمه علينا رسول الله ﷺ: **«كل شيء من أمر الجاهلية موضوع تحت قدميَّ»**[(١)]، سواء في ذلك: تبرج الجاهلية، ودعوى الجاهلية، وحكم الجاهلية، وظن الجاهلية، وحمية الجاهلية، وربا الجاهلية.

التبرج تخلف وانحطاط:

إن التكشف والتعري فطرة حيوانية بهيمية، لايميل إليها الإنسان إلا وهو ينحدر، ويرتكس إلى مرتبة أدنى من مرتبة الإنسان الذي كرمه الله وأنعم عليه بفطرة حُبِّ السِّتر والصيانة، وإن رؤية التبرج والتهتك والفضيحة جمالاً ما هي إلا فساد في الفطرة، وانتكاس في الذوق، ومؤشر على التخلف والانحطاط[(٢)].

ولقد ارتبط ترقي الإنسان بترقيه في ستر جسده، فكانت نزعة التستر دومًا وليدة التقدم، وكان ستر المرأة بالحجاب يتناسب مع غريزة الغَيرة التي تستمد قوتها من الروح، أما التحرر عن قيود السِّتر فهو غريزة تستمد قوتها من الشهوة التي تغري بالتبرج والاختلاط، وكل من قنع ورضي بالثانية فلابد أن يضحي

---

(١) رواه أبو داود والترمذي وغيرهما.

(٢) فأي مدنية هذه التي يتشدق بها البعض، وتؤدي بصاحبتها إلى هوة التخلف والانحطاط في الحقيقة؟!

بالأولى حتى يُسْكتَ صوت الغيرة في قلبه مقابل ما يتمتع به من التبرج والاختلاط بالنساء الأجنبيات عنه، ومن هنا كان التبرج علامة على فساد الفطرة، وقلة الحياء، وانعدام الغيرة، وتبلد الإحساس، وموت الشعور:

لحِدِّ الركبتين تُشَمِّرينا ▪▪▪ بِرَبِّك أيَّ نهر تَعْبُرينا

كأن الثوبَ ظلٌّ في صباحٍ ▪▪▪ يَزيدُ تَقَلُّصًا حينًا فحينا

تَظُنِّينَ الرجالَ بلا شعورٍ ▪▪▪ لأنكِ ربما لا تَشْعُرينا

التبرج باب شر مستطير:

وذلك لأن من يتأمل نصوص الشرع، وعِبَرَ التاريخ يتيقن مفاسد التبرج وأضراره على الدين والدنيا، لاسيما إذا انضم إليه الاختلاط المستهتر.

▪ ***فمن هذه العواقب الوخيمة:***

تسابق المتبرجات في مجال الزينة المحرمة لأجل لفت الأنظار إليهن، مما يُتلف الأخلاق والأموال، ويجعل المرأة كالسلعة المهينة الحقيرة المعروضة لكل مَن شاء أن ينظر إليها.

ومنها: فساد أخلاق الرجال خاصة الشباب، وخاصة المراهقين، ودفعهم إلى الفواحش المحرمة بأنواعها.

ومنها: تحطيم الروابط الأسرية، وانعدام الثقة بين أفرادها، وتفشي الطلاق.

ومنها: المتاجرة بالمرأة كوسيلة دعاية أو ترفيه في مجالات التجارة وغيرها.

ومنها: الإساءة إلى المرأة نفسها، باعتبار التبرج قرينة تشير إلى سوء نيتها، وخبث طويتها، مما يعرضها لأذية الأشرار والسفهاء.

ومنها: انتشار الأمراض: قال ﷺ: **«لم تظهر الفاحشة في قوم قطّ حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا»**(١).

ومنها: تسهيل معصية الزنا بالعين، قال ﷺ: **«العينان زناهما النظر»**(٢)، وتعسير طاعة غض البصر التي أُمرنا بها إرضاء لله سبحانه وتعالى.

ومنها: استحقاق نزول العقوبات العامة التي هي قطعًا أخطر عاقبة من القنابل الذرية، والهزات الأرضية، قال تعالى: ﴿**وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا**﴾ (سورة الإسراء: ١٦).

وقال ﷺ: **«إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يُغيِّروه أوشك أن يعمهم الله بعذاب»**(٣).

فيا أختي المسلمة:

هلا تدبَّرْتِ قول رسول الله ﷺ: **«نَحِّ الأذى عن طريق المسلمين»**؟ فإذا كانت إماطةُ الأذى عن الطريق من شُعَب الإيمان التي أمر بها رسول الله ﷺ؛ فأيهما أشدُّ أذى شوكةٌ أو حجرٌ في الطريق، أم فتنةٌ تُفسِدُ القلوب، وتعصفُ بالعقول، وتشيع الفاحشة في الذين آمنوا؟

إنه ما من شاب مسلمٍ يبتلى منك اليوم بفتنةٍ تصرفُهُ عن ذكر الله وتصُدُّه عن صراطه المستقيم ـ كان بوسعك أن تجعليه في مأمَن منها ـ إلا أعقبك منها غدًا نكالٌ من الله عظيم.

---

(١) رواه ابن ماجه والحاكم وغيرهما

(٢) رواه أحمد والطبراني بلفظ «العينان تزنيان، واليدان تزنيان، والرجلان تزنيان، والفرج يزني» (صحيح الجامع ـ ٤١٥٠).

(٣) رواه أبو داود والترمذي وغيرهما، وصححه الألباني في (صحيح الجامع ـ ١٩٧٤).

بادري إلى طاعة ربك عزَّ وجلَّ، ودعي انتقادَ الناس ولَومهم، فإن حساب الله غدًا أشدُّ وأعظم.

ترفَّعي عن طلب مرضاتهم ومداهنتهم، فإن التساميَ إلى مرضاة الله أسعدُ لك وأسلَم، قال رسول الله ﷺ: **«من التمس رضا الله بسخط الناسَ رضي الله عنه وأرضى عنه الناسَ، ومن التمس رضا الناس بسخطَ الله سخطَ الله عليه وأسخطَ عليه الناسَ»**[1].

ويجب على العبد أن يُفرِدَ الله بالخشية والتقوى، قال تعالى: ﴿**فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ**﴾ (سورة المائدة: ٤٤)، وقال جلَّ وعلاَّ: ﴿**وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ**﴾ (سورة البقرة: ٤٠)، وقال سبحانه: ﴿**هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ**﴾ (سورة المدثر: ٥٦)[2].

وإرضاء المخلوق لا مقدور ولا مأمور، أما إرضاء الخالق فمقدور ومأمور، قال الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ: «رضا الناس غايةٌ لا تُدْركُ، فعليك بالأمر الذى يُصلحُكَ فالزمْهُ، ودع ما سواه فلا تُعانِه»، وقد ضمن الله للمتقين أن يجعلَ لهم مخرجًا مما يضيق على الناس، وأن يرزقهم من حيث لا يحتسبون، قال عَز وجلَّ: ﴿**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ**﴾ (سورة الطلاق: ٢-٣).

(١) رواه الترمذي، وهو صحيح (صحيح الجامع ـ ٦٠٩٧).

(٢) هذا الفصل مستفاد من كتاب «عودة الحجاب» للشيخ إسماعيل محمد إسماعيل ـ حفظه الله ـ (١٣/ ٩١: ١٤٢) باختصار، والتعليقات بأسفل الصفحة وتحقيقات بعض الأحاديث للمؤلف.

أين نحن من الحجاب الشرعى؟[1]

أيها الأب الرحيم..

أيها الزوج الغيور..

أيتها الأم الرءوم...

أيتها الأخت المسلمة!

إن المسلم الغيور لو نظر إلى أحوال المسلمين والمسلمات اليوم، فسوف يندى جبينه خجلاً، ويقشعر بدنه أسفًا وحزنًا، وينخلع قلبه كمداً وغيظًا...

يكفيك أن تخرج من بيتك إلى أقرب طريق، أو متجر، أو وظيفة فترى بعينك، وتسمع بأذنيك، إذًا

لهالك الأمر، واستهوتك أحزان ▫▪▫ فالعين باكية، والقلب حَرَّان

فتجرى دماء الغيرة فى عروقك، وتصرخ مع الصارخ:

لمثل هذا يذوب القلب من كمد ▫▪▫ إن كان فى القلب إسلامٌ وإيمانُ

سوف ترى المرأة الكاسية العارية المتبرجة ـ هي وزوجها ـ وقد وضع ذراعه فى ذراعها، ومشى إلى جوارها فى الطريق فرحًا بفضيحتها، فخوراً بعريها، مسروراً بزينتها، مبهوراً بمساحيقها وألوانها.

وترى أباها قد أهمل تربيتها على كتاب ربها، وسنة نبيها ﷺ، ورأى حالتها المزرية، فغض منه الطرف، وتركها سادرة فى غيها، تمرح وتلعب مع

(١) «عودة الحجاب» ـ د. محمد إسماعيل المقدم (٣/ ١٦٧-١٧٤).

شيطانها، فلا يزجرها ولا ينهاها، متوهمًا أن هذا من حقها! وترى أمها ـ بئست القدوة ـ وقد تبرجت مثلها، وأغرتها بالسفور، وحرضتها على التبرج والفجور، وزجرتها عن الستر والتحجب حتى يأتيها «نصيبها» بفاسق مثلها.

تراهم جميعًا، وقد نزعوا الحياء نزعًا، وأجابوا واعظ الإيمان فى قلوبهم قائلين: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ الْوَاعِظِينَ﴾ (سورة الشعراء: ١٣٦).

وبينما كانت الصحابيات ﷺ يستزدن رسول الله فى طول ثيابهن، ترى هؤلاء النسوة قد قصَّرن ثيابهن، وقصرن، وزين لهن الشيطان سوء عملهن فزعمن التبرج تقدمًا وتحررًا، وكلما ازداد تقلص الثوب عن بدن المتبرجة كلما كانت أحرى بوصف التقدم والتحرر، وأبرأ من التخلف والرجعية:

يُقضى على المرء فى أيام محنته ... حتى يرى حَسَنًا ماليس بالحسَنِ

فأين الفطرة الآدمية؟ أين الحياء والغيرة؟ أين الإحساس والشعور؟ توارت كلها عن العين، وصارت أثرًا بعد عين:

لحِدِّ الركبتين تشمرينا ... بريك: أيُّ نهر تعبرينا
كأن الثوب ظل فى صباح ... يزيد تقلصًا حينًا فحينًا
تظنين الرجال بلا شعور ... لأنكِ ربما لا تشعرينا(٢)

ولوأنك عَرَّجْتَ إلى البحر، واقتربت قليلاً من الشاطئ لشاهدت الوحوش البشرية، والبهائم فى أوضاع مزرية يندى لها الجبين، كأنهم ـ فى عريهم

---

(١) «فقه النظر فى الإسلام» ص (١٧٠).

الفاضح - وحوش الغابات، وحيوانات الأدغال(١)!

ففى البحر سوءات وفى البر مثلها ▫▪▫ فياضيعة الأخلاق فى البر والبحر(٢)

آخــر:

هل رأيتَ الجموعَ محتشداتِ ▫▪▫ فوق شَطِّ الخِضَمِّ أو سابحاتِ

ورأيتَ الحِسانَ يمشينَ زَهْوًا ▫▪▫ مُقبلاتٍ يَتِهْنَ أو مُدْبِرات

ضَلَّلَتْهُنَّ قُدْوَةُ الوالداتِ ▫▪▫ ومِنَ الوالدين سوءُ أناةِ

ومن الزوجِ غَضُّ طَرْفٍ لِضَعيفٍ ▫▪▫ أو طِباعٍ فى نفسِهِ فاسدات

وانغماسُ الشقيقِ فى شَهَواتِ ▫▪▫ لا يُبالى بمنهجِ الأخوات

فاطَّرَحْنَ الحِشْمَةَ يحسَبْنَها مِنْ ▫▪▫ بالياتِ الأُمورِ والعادات

حالة تجرحُ الفضيلةَ حقًا ▫▪▫ ولها تَدْمَى نَفْسُ ذِي النَّخَوَاتِ

أيها البحرُ طهرِ القومَ واغسلْ ▫▪▫ ما تراهُ منهم مِنَ المنكرات(٣)

---

(١) اعلم أنه لا يحل للمرأة أن تظهر شيئًا من بدنها أمام الرجال الأجانب لأنها كلها عورة، وكذا لا يحل لها أن تظهر ما بين السرة والركبة ولو للنساء المسلمات، ولهذا جاءت الأحاديث الصحيحة بمنع النساء من دخول الحمامات العامة مطلقًا:

- فعن جابر ﷺ عن النبى ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بمئزر، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يدخل حليلته الحمام» رواه النسائى، والترمذي، وحسنه، والحاكم، قال: «صحيح على شرط مسلم». وفى حديث أبى أيوب ﷺ بلفظ: «ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر من نسائكم فلا يدخل الحمام» رواه ابن حبان في «صحيحه»، والحاكم، قال: «صحيح الإسناد»، وعن أبى المليح الهُذَلي أن نساءً من أهل «حمص» أو من أهل «الشام» دخلن على عائشة ﷺ، فقالت: «أنتن اللاتي يدخلن نساؤكن الحمامات؟! سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من امرأة تضع ثيابها فى غير بيت زوجها، إلا هتكت الستر بينها وبين ربها» رواه الترمذي وحسنه، وأبوداود، وابن ماجة، والحاكم، وقال: «صحيح على شرطهما».

- وعلى أساس هذه الأحاديث فلا ينبغى التردد فى تحريم ارتياد شواطئ الاصطياف الإباحية، والحمامات المختلطة المنتشرة فى النوادي، بقياس الأولى، وذلك لما يجري في هذه الأماكن الموبوءة من أحوال يَرْفَضُّ جبين القلم عرقًا من الخجالة بتسطيرها.

(٢)،(٣) «قولي فى المرأة» ص (٢٩-٣٠) بتصرف.

التبـرج المقنَّـع

لئن كنا عرضنا آنفًا لصور من التبرج الصريح، فإننا نعرض فيما يلى إن شاء الله ـ لصور محـدثة ـ من التبرج لم يتعـرض لها المصنفون قبـل هذا العصر، لا لانعدامهـا، ولكن لأن أحدًا لم يكن ليجرؤ على تسمـية المعاصي بغير اسـمها، فيـسمى التـبرج حجـابًا شرعيًّـا! لقد كـانت هذه الصور من التـبرج تُدْرَج فى مصنفات الـعلماء تحت اسم الفسوق، والعـصيان، والتبرج الذى يـضاهي تبرج الجاهلية الأولى، أما اليوم فقد انعكس الحال، واضطربت المفاهيم.

لقد جـهد أعداء الصـحوة الإسلامـية لوأدها فى مهـدها بالبطش والتنكيل، وأبى الله سبحانه إلا أن يتم نوره، ويظهر كلمته، فصار كيدهم هباءً منثورًا.

فرأوا أن يتعـاملوا معها بطريقة خـبيثة ترمي إلى الانحراف بهـا عن طريقها الرباني، فراحوا يروجـون صورًا مبتدعة للحـجاب على أنها «حل وسط» تُرضي به المسلمـةُ ربَّها ـ زعمـوا ـ، وفي ذات الوقت تساير مـجتمـعهـا، وتحافظ على «أناقتها»! وكـان أن قذفت «بيوت الأزياء» التي أشفقت من بوار تجـارتها المحرمة بنماذج ممسوخة من الأزياء تحت اسم «الحجـاب العصري» الذى قوبل فى البداية بتحفظ واستنكار.

وكانت ظاهرة «**الحجاب الشرعي**» قد بدأت تفرض نفسها على واقع المجتمع حتى صارت تشكل قوة اجتماعيـة ضاغطة أحرجت طائفة من المتبرجات، اللائي هرولن نحو «الحل الوسط» تخلـصًا من ذلك الحرج الاجتـماعي، وبمرور الوقت تفشت ظاهرة «التبـرج المقنع» المسمى بـ «الحجاب العصري» أو «حـجاب التبرج» بإزاء ظاهرة «**الحجاب الشرعي**».

فما هي صفات حجاب التبرج[1]؟

الأولى - أنه يكشف عوراتٍ مُجْمَعًا على تحريم كشفها:

فبينما كان أول شروط الحجاب الشرعي أن يكون ساترًا لبدن المرأة، رأينا حجاب التبرج يكشف الوجه المنمص الحاجبين، وقد اختفى تحت قناع من الألوان الزاهية، وتلطيخ وجهها بمساحيق متنوعة كأنها الطيف في تعددها، أما الحلي بأنواعها فقد برزت من الأذنين، وربما ظهر العنق وجزء من الشعر، والقدمان وربما تجاوزتهما، وترى صاحبته وقد ارتدت «عيِّنة» ترمز إلى الخمار، وقد خرجت مزينة مزخرفة، وترى في الخمار ما شئت من الألوان الصارخة كالأحمر والأصفر، وربما زادت على هذا الخمار ما يزيده زينة على زينة فتضع شريطًا ذهبيًا أو فضيًا أو مزركشًا، وقد التف على أعلى الخمار كأنه تاج، ثم تزعم صاحبة هذه الزينة الصارخة أنها محجبة، أي حجاب هذا الذي تزعمين؟!

إن هذا خمار الخداع والتزييف، حجاب الزينة والفتنة، إنه حجابٌ عارٍ متبرج، فوق رأس فارغٍ خاوٍ، فأين العلم، والتقوى، والورع، والخوف، والاستحياء من الله تبارك وتعالى؟!

وكم بمصر من المضحكاتِ ... ولكنه ضحك كالبُكا!

الثانية - أنه زينة في نفسه:

فترى هؤلاء الكاسيات العاريات صواحب «حجاب التبرج» يتفنن في فتنة الناس بألوان ثيابهن، ويضفن إلى ذلك ما شئن من الزوائد التي تزيدهن فتنة كالحلي وغيرها، وكأن القرآن الذي نزل فيه قول الله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾

---

(١) مستفاد ـ بتصرف ـ من كتاب: «تبرج الحجاب» للأستاذ محمد بن حسان ـ حفظه الله ـ.

(سورة النور: ٣١)، وقوله تعالى: ﴿وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾ (سورة الأحزاب: ٣٣)، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ (سورة النور: ٣١)، إنما نزل على قوم آخرين غير نساء المسلمين، وكأن الحق فيها على غيرنا وَجَبَ، وكأن هؤلاء الكاسيات العاريات يعاندن رب العزة، ويقلن بلسان الحال: «سمعنا وعصينا» تمامًا كما استقبلت أمة الغضب واللعنة أوامر الله عزَّ وجلَّ.

الثالثة - أنه شفاف يظهر ما يجب ستره من العورات، فلا يحجب رؤية، ولا يمنع نظرًا.

وما أدراك ما الملابس الشفافة في فصل الصيف خاصة، مناظر يندى لها الجبين، وتتألم لها النفوس المؤمنة.

الرابعة - إنه ضيق يصف العورات:

فتراه التصق بها، حتى يتحققَ في صاحبته قول النبي ﷺ: **«ونساء كاسيات عاريات، مائلات مميلات»** الحديث.

الخامسة - أنه يكون معطرًا:

فربما خرجت صاحبة هذا الحجاب المشئوم، فإذا بها ترسل سهام الشيطان إلى قلوب الرجال عبر تلك العطور الخبيثة فتلفت الأنظار، وتشيع الفاحشة فى المؤمنين.

السادسة والسابعة - أنه أحيانًا يشبه ملابس الرجال:

فتراهن يرتدين السروالات الضيقة، وأحيانًا يشبه ملابس الكافرات اللائي يتتبعن «الموضات» شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع.

الثامنة - أنه لباس شهرة وتفاخر:

فترى صاحبته تتفنن فى تطبيق قاعدة: «خالف تُعرف»، وكأن بين هؤلاء الكاسيات العاريات سباقًا حادًا في عرض أزياء مستتر، فهذه تلبس الحجاب

الفاقع، وهذه تلبس الثوب الضيق الذي يكاد يشل حركتها، ثم تضع حول خصرها هذا «الحزام» الذهبي أو الفضي اللامع فإذا تلبست ببعض هذه الأفعال الشنيعة أو كلها، تم توقيع العقد مع الشيطان للخروج إلى الشوارع بهذه الحال من التبرج والتهتك تحت ستار «الحجاب» المزعوم! ويظن البعض أنهن متدينات، وهن يحسبن فى أنفسهن أنهن خير البنات والزوجات، وما هن إلا كما وصفهن الشاعر محمد عبد المطلب، وصدق في قوله:

إنْ يَنْتَسِبْنَ إلىَ الحِجَاب ... فَإِنَّه نَسَبُ الدَّخِيل
اهي التى فُرض الحجاب ... لصونها شرعُ الرسول؟!
جعل الحجابُ مُعاذَها ... من ذلك الداءِ الوبيل[1]

تقول السيدة نعمت صدقى ـ رحمها الله ـ:

(ولو أن المتبرجة تأملت بعين بصيرتها، ولو كان لها قلب يعى، لوجدت أنها ـ باصطناعها هذا الجمال المزور، ومبالغتها في التزين ـ لن تكتسب فى الحقيقة جمالاً ولا محاسن، بل إنها تمسخ وجهها، وتخفي ما حباها الله به من الجمال الفطرى، بقناع من الأصباغ الزاهية، التي تختلف وتشذ عن الفطرة، ينبو عنها الذوق السليم، وهي لا تأبه لذلك، ولا تفطن لما صنعت لوجهها من التشويه والتقبيح، فإن الله تعالى لم يخلق جفونًا زرقاء لامعة، ولا سوداء قاتمة، إلا في القردة والكلاب، ولا شفاهًا حمراء قانية، كأنها ولغت في الدم المسفوح، ولا خدودًا مضطرمة متوهجة الاحمرار، ولا حواجب هلالية لامعة تذكر بما يتخيلون ويصفون فى الأساطير من حواجب الشياطين، وأظافر مدببة حمراء كأنها مخالب حيوان كاسر مخضبة بدماء فريسته، فبالله هل هذا جمال أم دمامة وبشاعة؟!

(١) راجع القصيدة فى القسم الأول من «عودة الحجاب» ط. ثالثة، ص(١٣٥-١٣٦).

قل للجميلةِ أرسلَتْ أظفارَها ▪▪▪ إني لخوفٍ كدتُ أمضى هاربا
إن المخالبَ للوُحوشِ نخالهُا ▪▪▪ فمتى رأينا للظباءِ مخالبا
بالأمسِ أنتِ قصصتِ شعرَكِ غيلةً ▪▪▪ ونقلتِ عن وضعِ الطبيعةِ حاجبًا
وغداً نراك نقلت ثغرَكِ للقفا ▪▪▪ وأزحتِ أنفك رغم أنفِكِ جانبا
من علَّم الحسناءَ أنَّ جمالهَا ▪▪▪ في أنْ تخالفَ خلْقَها وَ تُجانبا؟)[1]

وبعد . . فيا صاحبة «حجاب التبرج»!

حذار أن تصدقي أن حجابك هو الذي أمر به القرآن والسنة، وإياك أن تنخدعي بمن يبارك عملك هذا، ويكتمك النصيحة، ولا تغتري بأنك أحسن حالاً من صاحبات التبرج فإنه لا أسوة في الشر، والنار دركات بعضها أسفل من بعض، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «انظروا إلى من هو أسفل منكم في الدنيا، وفوقكم في الدين، فذلك أجدر أن لا تزدروا[2] نعمة الله عليكم»[3].

وعن الزهري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه تلا هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (سورة فصلت: ٣٠).

قال: «استقاموا واللهِ لله بطاعته، ولم يروغوا روغان الثعالب».

---

(١) «التبرج» ص (٣٠-٣١)، والطبيعة: السَّجِيَّة جُبِل عليها الإنسان.

(٢) الازدراء: الاحتقار، والعيب، والانقاص.

(٣) هذه الرواية ذكرها رزين، وأصل الحديث رواه، بلفظ آخر ـ البخاري (١١/٢٧٦) في الرقاق، ومسلم رقم (٢٩٦٣) في الزهد، والترمذي رقم (٢٥١٥) في القيامة.

وعن الحسن ـ رحمه الله ـ أنه قال: «إذا نظر إليك الشيطان فرآك مداومًا في طاعة الله فبغاك[1]، وبغاك، فرآك مداومًا، مَلَّك ورَفَضَكَ، وإذا كنت مرة هكذا، ومرة هكذا، طمع فيك».

ومسك الختام ما ختم الله عزَّ وجلَّ به الآيات الآمرة بالحجاب في قوله جل وعلا: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (سورة النور: ٣١).

(١) بغاك: أى طلبك مرة بعد مرة.

شروط الحجاب الشرعي

وكمـا تحدثنا وحذرنا المـراة المسلمة من «حجـاب التبرج» نزيـل في النهاية بالحديث عن شروط «الحجاب الشرعي» حتى لا تقع المسلمـة بين براثن الأعداء أو الجهلة.

وهذه الشروط هي . . .

١ - استيعاب جميع البدن (على الراجح من أقوال أهل العلم):

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (سورة الأحزاب: ٥٩).

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ (سورة الأحزاب: ٥٣).

والجلباب في لغة العرب هو: ما غطى جميع الجسم لا بعضه[١].

وقال ابن الأثير: هو المُلاءة التى تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار.

٢ - أن لا يكون زينة فى نفسه:

قال تعـالى: ﴿ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴾ (سورة النور: ٣١)، فـإذا كان المقـصـود من الحجاب: حـجب أعين الرجال عما يلفت الانتـباه إلى المرأة، بستر زينتـها، فلا يعقل حـينئذ أن يكون الجلباب نفـسه ملفتـًا للنظر بما فيه من الزركـشة والألوان الزاهية جداً ونحو ذلك مما يعد زينة فى الحجاب.

---

(١) أنظر: «المحلى» لابن حزم (٣/ ٢١٧). «الجامع لأحكام القرآن» القرطبى (١٤/ ٢٤٣).

٣ - أن يكون صفيقًا لا يشف:

أي ثقيلاً يتحقق الستر به - حيث أن الشفاف يظهر ما تحته، فيزيد المرأة فتنة ولا يكون هناك إذن معنًى للحجاب.

لذلك قال ﷺ: **«سيكون في آخر أمتي نساء كاسيات عاريات، على رؤوسهن كأسنمة البُخْت، العنوهن فإنهن ملعونات»**[١].

قال بن عبد البر: «أراد ﷺ النساء اللواتي يلبسن من الثياب الشيء الخفيف الذي يصف ولا يستر، فهن كاسيات بالاسم، عاريات في الحقيقة».

٤ - أن يكون فضفاضًا غير ضيق:

وذلك حتى لا يصف جسمها، لأن اللباس الضيق يصف مفاتن المرأة، وحجم جسمها أو بعضه ويزيد في أعين الرجال، وفي ذلك ما لا يخفى من الفساد والانحلال - لذا كان لابد أن يكون واسعًا لا يجسِّم جسد المرأة أو بعضه.

٥ - أن لا يكون مطيَّبًا:

فالإسلام نهى أن تتطيب المرأة بوضع الطيب والعطور أمام الرجال الأجانب عنها، لما في ذلك من تحريك داعية الشهوة.

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: **«أيُّما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا من ريحها فهي زانية»**[٢].

---

(١)، (٢) سبق تخريجهما.

٦ - *أن لا يشبه لباس الرجل:*

وهذا منتشر اليوم انتشاراً مفزعًا، فـالمرء لا يكاد يرى محجبة ـ بزعمها ـ فى الطريق إلا وقد ارتدت بدلة الرجل أو «البنطلون».

وقد قال ﷺ : **«ليس منّا من تشبه بالرجال من النساء، ولا من تشبه بالنساء من الرجال»**[(١)] .

٧ - *أن لا يشبه لباس الكافرات:*

ذلك أن التشبه بالكفار حرام، فضلاً عن ذوبان الْهُـوية الإسلامية وضياعها، وفقدان الاعتزاز بالدين وشعائره.

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (سورة الجاثية: ١٨).

٨ - *أن لا يكون لباس شهرة:*

وذلك لحديث عبد الله ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ : **«من لبس ثوب شهرة فى الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة، ثم ألهب فيه ناراً»**[(٢)] .

ولباس الشهرة هو: كل ثوب يقصد به الاشتهار بين الناس، سواء كان الثوب نفيسًا تلبسه تفاخراً بالدنيا وزينتها، أو خسيسًا تلبسه إظهاراً للزهد والرياء.

---

(١) أخرجة الإمام أحمد، وصححه الألبانى فى «الحجاب» ص (٦٦-٦٧).

(٢) أخرجه أبوداود، وحسنه الألبانى فى «الحجاب» ـ ص (١١٠).

وفي الختــام

هل من توبة قبل الممات؟

قال تعـالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (سورة الحديد: ١٦).

توهمي نفسك أيتها المسلمة، وقد صُرِعتِ للموت صرعةً لا تقومين منها إلا إلى الحشر إلى ربك.

توهمي نفسك في نزع الموت وكـربه وغصصه وسكراته وغمـه وقلقه، وقد بدأ الملك يجـذب روحك من قـدمك، فوجـدت ألم جـذبه من أسفل قـدميك، ثم تـدارك الجـذب، واسـتحث النزع، وجُذبت الـروح من جمـيع بدنك، فنشطت من أسفلك مـتصـاعدة إلى أعلاك، حتى إذا بلغ منـك الكرب منتهاه، وعمّت آلام الموت جميع جسمك، وقلبُك وجلٌ محزون، مرتقب منتظر للبشرى من الله عزَّ وجلَّ بـالغضب أو الرضا، وقـد علمتِ أنه لا محـيص لك دون أن تسمعي إحدى البشريين من الملك الموكل بقبض روحك.

فـبينمـا أنتِ في كـربك وغـمومك، وألم الموت بسـكراته، وشدة حـزنك لارتقـابك إحدى البـشريين من ربك، إذ نـظرتِ إلى صفـحة وجـه ملك الموت بأحسن الصورة أو بأقبحهـا، ونظرت إليه مادًا يده إلي فِيك، ليخرج روحك من بدنك، فذلت نفسك لمَّا عـاينت ذلك، وعاينت وجه ملك الموت، وتعلق قلبك،

بما يفجأك من البشرى منه، إذا سمعت صوته: أبشري يا أمة الله برضا الله وثوابه، أو أبشري يا عدوةً الله بغضبه وعقابه، فتستيقنين حينئذ بنجاتك وفوزك، ويستقر الأمر في قلبك، فتطمئن إلى الله نفسك، أو تستيقنين بعطبك وهلاكك، ويحل الإياس قلبك، وينقطع من الله عزَّ وجلَّ رجاؤك وأملك، فيلزم قلبك حينئذ غاية الهم والحزن، أو الفرح والسرور، وحينئذ انقضت من الدنيا مدتُك، وانقطع منها أثرك، وحُملتِ إلى دار من سلف من الأمم قبلك.

فتوهمي نفسك حين استطار قلبك فرحًا وسروراً، أو ملئ حزنًا وعبرة، وبفترة القبر وهول مطلعه وروعة الملكين وسؤالهما فيه عن إيمانك بربك، فمثَّبت من الله جل ثناؤه بالقول الثابت أو متحير مخذول.

فتوهمي أصواتهما حين يناديانك لتجلسي لسؤالهما إياك، ليوقفاك على أسئلتهما.

فتوهمي جلستك في ضيق لحدك ثم شخوصك ببصرك إلى صورتهما، وعظم أجسامهما، فإن رأيتيهما بحسن الصورة، أيقن قلبك بالفوز والنجاة، وإن رأيتيهما بقبح الصورة، أيقن قلبك بالهلاك والعطب، فتوهمي أصواتهما وكلامهما وسؤالهما، ثم هو تثبيت الله إياك إن ثبَّتكِ أو تحييره إن خذلك.

فتوهمي جوابك باليقين أو بالتحير، توهمي إقبالهما عليك - إن ثبَّتك الله عزَّ وجلَّ - بالسرور، وضربهما بأرجلهما جوانب قبرك بانفراج القبر عن النار.

ثم توهمي النار وهي تتأجج بحريقها، وأنت تنظرين إلى ما صرف الله عنك، فيزداد بذلك قلبك سروراً وفرحًا، وتوقنين بسلامتك من النار.

ثم توهمي ضربهما بأرجلهما جوانب قبرك، وانفراجه عن الجنة بزينتها ونعيمها، وقولهما لك: يا أمة الله: انظري إلى ما أعدَّ الله لك، فهذا منزلك وهذا مصيرك.

فتوهمي سرور قلبك وفرحك، بما عاينتي من نعيم الجنان، وبهجة مُلكها، وعلمك أنك صائرة إلى ما عاينتي من نعيمها وحسن بهجتها.

وإن كانت الأخرى، فتوهمي نفسك خلاف ذلك كله من الانتهار لك، ومن معاينتك الجنة، وقولهما لك: انظري إلى ما حرمك الله عزَّ وجلَّ، ومعاينتك النار وقولهما لك: انظري إلى ما أعدّ الله لك، فهذا منزلك ومصيرك.

فأعظمي بهذا خطرًا، وأعظمي به عليك في الدنيا غمًا وحزنًا، حتى تعلمي أي الحالتين في القبر حالك.

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾ (سورة النمل: ٨٧).

توهمي كيف وقع الصوت في مسامعك وعقلك، وتوهمي بعقلك أنك تدعين إلى العرض على الملك الأعلى، فطار فؤادك وشاب رأسك للنداء، لأنها صيحة واحدة بالعرض على ذي الجلال والإكرام والعظمة والكبرياء.

فبينما أنت فزعة للصوت إذ سمعت بانفراج الأرض عن رأسك، فوثبتي مغبرة من قرنك إلى قدمك بغبار قبرك، قائمة على قدميك، شاخصة ببصرك نحو النداء، وقد ثار الخلائق كلهم معك ثورة واحدة، وهم مغبَّرون من غبار الأرض التي طال فيها بلاؤهم.

حتى إذا وافيت الموقف، وازدحمت الأمم كلها من الجن والإنس، عراة حفاة، قد نُزع المُلك من ملوك الأرض، ولزمهم الذلة والصَغَار ثم أقبلت الوحوش والسباع، حتى إذا وقفت من وراء الخلائق بالذل والمسكنة والانكسار للملك الجبار، فسبحان الذي جمعهم بعد طول البلاء، واختلاف خلقهم وطبائعهم، توحش بعضهم من بعض، قد أذلهم البعث، وجمع بينهم النشور.

حتى إذا تكاملت عدة أهل الأرض من إنسها وجنها وشياطينها ووحوشها وسباعها وأنعامها وهوامها، استووا جميعًا في موقف العرض والحساب، تناثرت نجوم السماء من فوقهم وطُمست الشمس والقمر وأُظلمت الأرض بخمود سراجها وإطفاء نورها.

فيا فزعكِ، وقد فزع الخلائق مخافة أن يكونوا أُمر بهم، حتى إذا وافى الموقف أهل السموات السبع والأرضين السبع، كُسيت الشمس حر عشر سنين، وأدنيت من رؤوس الخلائق قاب قوس أو قوسين، ولا ظل لأحد إلا ظل يخلقه رب العالمين، فمن بين مستظل بظل الرحمن، وبين مضحو بحر الشمس، وقد صهرته بحرها واشتد كربه وقلقه من وهجها.

فما ظنك بوقوفهم أعوامًا كثيرة، لا يأكلون فيها أكلة ولا يشربون فيها شربة، ولا يلفح وجوههم روح ولا طيب نسيم، ولا يستريحون من تعب قيامهم ونصب وقوفهم حتى بلغ الجهد منهم ما لا طاقة لهم به.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (سورة المطففين:٦)، عن قتادة أو كعب قال: «يقومون مقدار ثلاثمائة عام».

ثم فزعوا بعد ذلك إلى آدم ونوح، ومن بعدهما إبراهيم وموسى وعيسى، كلهم يقول: «إن ربي قد غضب اليوم غضبًا، لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله»، فكلهم يذكر شدة غضب ربه عزَّ وجلَّ، وينادي بالشغل بنفسه فيقول: «نفسي نفسي».

فتوهمي أصوات الخلائق وهم ينادون بأجمعهم، منفرد كل واحد منهم بنفسه ينادي: نفسي نفسي، فلا تسمعين إلا قول نفسي نفسي. فيا هول ذلك وأنت تنادين معهم بالشغل بنفسك، والاهتمام بخلاصها من عذاب ربك وعقابه.

حتى إذا أيس الخلائق، أتوا النبي محمدًا ﷺ، فسألوه الشفاعة إلى ربهم، فأجابهم إليها، ثم قام إلى ربه عزَّ وجلَّ، واستأذن عليه، فأذن له، ثم خرَّ لربه عزَّ وجلَّ ساجدًا، ثم فتح عليه من محامده والثناء عليه بما هو أهله، وذلك كله بسمعك وأسماع الخلائق، حتى أجابه ربه عزَّ وجلَّ إلى تعجيل عرضهم.

فبينما أنت مع الخلائق في ظل القيامة وشدة كربها، منتظرة متوقعة فصل القضاء والخلود في دار النعيم أو الحزن، إذ سطع نور العرش، وأشرقت الأرض بنور ربها، وأيقن قلبك بالجبار، وقد أتي لعرضك عليه حتى كأنه لا يعرض عليه أحدٌ سواك، ولا ينظر إلا في أمرك.

توهمي نفسك وأنت في شدة الخوف والفزع والرعب والغربة والتحير، لاسيما إذا تبرأ منك الولد والوالد والأخ والصاحب والعشائر، وفررت أنت منهم أجمعين، فكيف خذلتيهم وخذلوك.

أتبغضينهم وإنهم لهم الذين كانوا في الدنيا مؤانسيك، وقرة عينك، وراحة قلبك، ولكن خشيتِ أن يكون لأحد عندك منهم تبعة، فيتعلق بك حتى يخاصمك عند ربك عزَّ وجلَّ، ثم لعله أن يحكم له عليك فيأخذ منك ما ترجين أن تنجين به من حسناتك، فتصيرين بذلك إلى النار.

توهمي نفسك وقد نودي باسمك على رؤوس الخلائق الأولين والآخرين:

أين فلانة بنت فلان؟ هلمي إلى العرض على الله عزَّ وجلَّ، وقد وُكل الملائكة بأخذك حتى يقربوك إلى ربك، فوثبتي على قدميك، ترتعد فرائصك، وتضطرب جوارحك، متغير لونك، فزعة مرعوبة من الوقوف بين يدي الواحد القهار للسؤال والحساب . . . فبأي لسان تجيبينه حين يسألك عن قبيح فعلك، وعظيم جُرمك، عندما كنت متبرجة، وبأي قدم تقفين غدًا بين يديه، وبأي نظر تنظرين إليه، وبأي قلب تحتملين كلامه العظيم الجليل، ومساءلته إياك، يوم يقول لكِ: يا أمة الله، أما أجللتيني، أما استحييت مني، أستخففتِ بنظري إليك، ألم أُحسن إليك، ألم أُنعم عليك، ما غرَّك بي؟، شبابكِ فيم أبليتيه؟، وعمركِ فيم أفنيتيه؟، ومالكِ من أين اكتسبتيه؟، وفيم أنفقتيه؟ وعلمكِ ماذا عملتِ فيه؟.

عن ابن مسعود ﷺ أنه بدأ اليمين فقال: مامنكم من أحد إلا سيخلو الله عزَّ وجلَّ به، كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر، ثم يقول:

يا ابن آدم: ماغرَّك بي؟ يا ابن آدم ما عملتَ لي؟.

يا ابن آدم: ماذا أجبت المرسلين ؟ يا ابن آدم ما استحيت مني؟.

يا ابن آدم: ألم أكن رقيبًا على عينيك وأنت تنظر بهما إلى ما لا يحل لك؟.

يا ابن آدم: ألم أكن رقيبًا على أذنيك وأنت تستمع بهما إلى ما لا يحل لك؟.

يا ابن آدم: ألم أكن رقيبًا على لسانك وأنت تنطق بما لا يحل لك؟.

يا ابن آدم: ألم أكن رقيبًا على يديك وأنت تبطش بهما إلى ما لا يحل لك؟.

يا ابن آدم: ألم أكن رقيبًا على رجليك وأنت تمشي بهما إلى ما لا يحل لك؟.

يا ابن آدم: ألم أكن رقيبًا على قلبك وأنت تهمّ بما لا يحل لك؟ أم أنكرت قربي منك؟ وقدرتي عليك؟»

وأنتِ أيتها المسلمة بين خطرين عظيمين: إما أن يتلقاك برحمته ويتفضل عليك بجوده، وإما أن يناقشك الحساب، فيأمر بك إلى الهاوية وبئس المصير.

فارجعي عما يكره مولاك، وابكِ من خشيته عسى أن يرحمك ويُقيل عثراتك، فإن الخطر عظيم، وإن البدن ضعيف، والموت منك قريب، والله جلَّ جلاله مع ذلك مطَّلع يراك، وناظرٌ لا يخفى عليه منك سرًا ولا علانيةً.

فاحذري الله عزَّ وجلَّ وخافيه واستحيي منه، وأجلِّيه، ولا تستخفي بنظره ولا تتهاوني باطلاعه عليك، واخشيه قبل أن يأخذك بغتة.

أيتها المسلمة.. توهمي نفسك وأنت تمرين على الصراط المضروب على متن جهنم، توهمي ممَّرك على الجسر بشدة الخوف وضعف البدن، فإمَّا أن تزل قدمك فتقعين في جهنم، أو تمرين عليه وتخلفينه وراء ظهرك، وجهنم تضطرب من تحتك، فيطير قلبك فرحًا إذا رأيت عظم ما نجاك الله منه، ثم خطوت آمنة إلى باب الجنة، قد امتلأ قلبك سرورًا وفرحًا.

فانظري أيتها المسلمة أي الدارين تريدين أن تسكني؟ تذكري الموت والرحيل عن هذه الدنيا الزائلة، فإنه أدعى لإيقاظ قلبك، واستقامة جوارحك على طاعة الله تعالى.

واتعظي بما قاله عون بن عبد الله بن مسعود وهو يقول: «كم من مستقبل يومًا لا يستكمله، ومنتظرٍ غدًا لا يبلغه. ولو تنظرون إلى الأجل ومسيره، لأبغضتم الأمل وغروره».

وهذا عمر بن الخطاب ﷺ يحدث حديث صدق عنه: قبور خرقت الأكفان، ومزقت الأبدان، ومصت الدم، وأكلت اللحم، تُرى: ماصنعت بهم الديدان؟

مَحَت الألوان، وعفَّرت الوجوه، وكسرت الفِقار، وأبانت الأعضاء، ومزقت الأشلاء.

تُرى: أليس الليل والنهار عليهم سواء؟ أليس هم في مدلهمة ظلماء؟

كم من ناعم وناعمة أصبحت وجوههم بالية، وأجسادهم عن أعناقهم نائية، قد سالت الحدق على الوجنات، وامتلأت الأفواه دمًا وصديداً، ثم لم يلبثوا والله إلاَّ يسيرًا، حتى عادت العظام رميمًا.

قد فارقوا الحدائق، فصاروا بعد السعة إلى المضائق.

ياساكن القبر غدًا، مالذي غرَّك من الدنيا؟.

أين دارك الفيحاء؟.

وأين رقائق ثيابك؟.

ليت شعري كيف ستصبر على خشونة الثري، وبأي خديك يبدأ البلى؟

لذا راح الحسن البصري ـ رحمه الله ـ ينادي:

المبادرة، المبادرة ...

فإنما هي الأنفاس لوحبست: انقطعت عنكم أعمالكم.

إنكم أصبحتم في أجل منقوص، والعمل محفوظ، والموت ـ والله ـ في رقابكم، والنار بين أيديكم، فتوقعوا قضاء الله عزَّ وجلَّ في كل يوم وليلة.

إن المسلمة العاقلة هي التي تعلم أن التراب بعد الفُرش مضجعا، وأن الدود والحشرات أنيسها، وأن القيامة الكبرى موعدها، وأن الجنة أو النار موردها، فتجعل هذا نَصْبَ عينيها ليلاً ونهارًا، سراً وجهرًا، وأمعنت في التفكير فيه، فلابد أن يكون لذلك تأثير بإذن الله، ويكون الموت وما بعده نصب عينيها إن قعدت أو قامت أو مشت أو اضطجعت، فتهون عليها الدنيا وتزهدها.

أما آن لك أن تعودي إلي الله تعالى، وتتوبي من هذه الكبيرة.

أما آن لك أن تخافي عقاب الله تعالى لك في الدنيا والآخرة.

أما آن لك أن تتوبي توبة صادقة قبل فراق الروح للجسد.

قال تعالى: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (سورة النور: ٣١).

وقال تعالى أيضًا: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (سورة البقرة: ٢٢٢).

وروي الترمذي بسند حسن أن النبي ﷺ قال: «**ما من رجل يذنب ذنبا فيتوضأ ويحسن الوضوء، ثم يصلي ركعتين ويستغفر الله عزَّ وجلَّ الا غفر له**»، ثم تلا قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (سورة آل عمران: ١٣٥).

يارب إن عظمت ذنوبي كثرة ◘■◘ فلقد علمت بأن عفوك أعظمُ
إن كان لا يرجوك إلا محسن ◘■◘ فبمن يلوذُ ويستجيرُ الآثمُ
أدعوك ربي كما أمرت تضرعًا ◘■◘ فإذا رددت يدي فمن ذا يرحمُ

ويقول أحدهم:

تفكر في مشيبك والمآب ◘■◘ ودفنك بعد عزك في الترابِ
إذا وافيت قبراً أنت فيه ◘■◘ تُقيم به إلى يوم الحسابِ
وفي أوصال جسمك حين تبقى ◘■◘ مُقطعةً ممزقة الإهابِ
فلولا القبر صار عليك ستراً ◘■◘ لأنتنت الأباطح والروابي
خُلقت من التراب فصِرت حيًا ◘■◘ وعُلِّمْتَ الفصيح من الخطابِ
وعُدْتَ إلى التراب فصِرت فيه ◘■◘ كأنك ما خرجت من التراب
فطلِّقْ هذه الدنيا ثلاثًا ◘■◘ وبادر قبل موتك بالمتاب

وبهذا تنتهي هذه الرسالة، والتي أرجو من الله تعالى أن تكون دليل هداية لكثير من نساء المسلمين، من داء التبرج الذي بات ينخر في جسد الأمة، ويهدر كيانها ومقوماتها، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه
عصام بن محمد الشريف
غفر الله له ولوالديه ولأهله

دار الإيمان
إسكندرية
١٧-١٩ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - اسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤٤٦٤٩٦ ت: ٥٢٢٢٠٠٢
دار القمة